الجمهوريـــة الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية اللغات والأدب العربي

الطبيعة الصامتة في شعر جماعة

شعر -يوسف الخال أنموذجا-

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص : أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

ناريمان مسعي

إشراف الأستاذ الدكتور:

مجيد قري

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
شمس الدين شريف	أستاذ محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيساً
مجـــيـد قـــري	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مشرفا ومقررا
هنـــد بوعـــود	أستاذ محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية : 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم :الآية07]

أحمد الله وأشكره أن وفقني لأداء هذا العمل وإخراجه، عملا بقول خير خلق الله

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والإمتنان والتقدير للأستاذ المشرف " مجيد قري"

الذي لم يبخل علي بتوجيهاته طوال هذه المدة، ونصائحه السديدة.

كما أشكر لجنة المناقشة التي تحملت عناء القراءة والتصويب.

دون أن أنسى جامعة عباس لغرور بشكل عام وكلية اللغات والأدب

-قسم الأدب العربي- بشكل خاص، على إحتضان مشواري الجامعي، ومساعدتي

للوصول إلى الدرجة العلمية المشرفة اليوم.

المقدمة:

مقدمة:

لطالما ارتبط وجود الإنسان بالطبيعة فالصلة بينهما لها عمق بعيد وقديم قدم الأرض ووجوده عليها، والعلاقة بينهما علاقة فلسفية المنشأ متشعبة الأبواب معقدة الفهم، مترامية الأطراف مذكورة في أمهات الكتب، فقد تطورت هذه العلاقة بمرور الزمن ومرت بمراحل متعددة، اتخذ الإنسان من خلالها الطبيعة كمقدس يعبده ويخاف ظواهره وغضبه وسخطه، ثم منشأ يحويه كأم ترى فيه طفلاً لها، ثم كحاجة وضرورة لبقائه واستمراره، ثم كملهم اقتبس منه جميع إبداعاته وروائع فنونه، أما في الأدب العربي فقد كانت الطبيعة الملهم الأول لأقلام الأدباء والشعراء، فظهر ما يعرف بشعر الطبيعة و "هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما تشتمل عليه، والطبيعة تعني شيئين؛ الحي مما عدا الإنسان، والصامت كالحدائق والغابات وما إليها"[1]. وهو ما عبرت عنه معلقات الفحول في العصر الجاهلي، ودواوين العرب في العصور الموالية، وقد ازدهرت في الأندلس لإجتماع الطبيعة الغناء في كمال أوصافها وشعراء المديح، لتتبناه المنظمات الأدبية في العصر الحديث، وتلبسه أثواب المذاهب الأدبية المختلفة وأهمها الرومانسية، ومن بين التنظيمات الأدبية التي اهتم روادها بالطبيعة، مدرسة الديوان، وجماعة أبولو وكذلك المدرسة المهجرية، وجماعة شعر، لكن التوظيف والإهتمام اختلف بين هذه التنظيمات كل حسب خليفته، وبدا التطور على أشده مقارنة مع ما جاء من جهود سابقة، مع الخوض في شعر الطبيعة لدى جماعة شعر، فقد جمعت – ضمن مواضيع حداثتها– بين شعر الطبيعة والقصيدة النثرية، على هذا الأساس أثار فضولي وشغلني ما في شعر الطبيعة من صور وإيحاءات، نابعة من أحاسيس وعواطف مكبوتة في نفوس الشعراء، وجدت لها طيفاً وانعكاساً زئبقياً في شعر الطبيعة، خاصة القسم الصامت منها أين وجدوا فيه ما يشبههم ويشبه أرواحهم، فأطلت فكرة البحث بتوجيه

[1]- أحمد فلاق عروات: تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت) ، ص110-111.

من الأستاذ، لتسليط الضوء على ظاهرة الطبيعة وموقعها من الشعر الحديث، ولأن العناوين هي عتبات الولوج إلى النصوص، فقد ارتأينا أن يكون عنوان بحثنا "**الطبيعة الصامتة في شعر جماعة شعر**"، وللتقرب من هذا الموضوع اخترت ديوان الشاعر "يوسف الخال"، الذي جاء مادة دسمة ومبطنة بدلالات الطبيعة الصامتة.

وقد أثار هذا الموضوع إشكالية رئيسية جاءت صيغتها كالتالي:

ما مدى تأثير الطبيعة الصامتة على شعر جماعة شعر، وكيف جاء توظيفهم لها؟

كما احتوى هذا الموضوع على مجموعة من التساؤلات من أبرزها ما يلي:

- كيف كانت نظرة التنظيمات الأدبية الحديثة لشعر الطبيعة؟
- وما هي أهم العناصر الطبيعية الصامتة التي ورد ذكرها في دواوين الشعراء المنتمين لهذه التنظيمات؟
- وكيف وظف يوسف الخال شعر الطبيعة الصامتة في أعماله الشعرية الكاملة؟

جاء جملة هذه التساؤلات لتصل الإجابة عنها في النهاية، إلى تسليط الضوء على جانب الطبيعة الساكن الصامت من الشعر الحديث، وأهميته في الأدب العربي بشكل عام، والشعر بشكل خاص.

ولم يكن إختيارنا لهذا الموضوع جزافاً، وإنما كان بناء على جملة من القراءات والخلفيات والمرجعيات، لعل أهمها رسالة ماجستير بعنوان "الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي" لـــ: سارة علي سيد حسين"، وغيرها من الدراسات والرسائل العلمية التي تناولت هذا الموضوع.

ورغبة منا في الوصل إلى الهدف فإننا أثرنا تصميماً لهذا البحث وفق خطوات ثابتة، تعكس خطة ممنهجة، مقسمة إلى:

مقدمة وفصلين مصدرين بمدخل، وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس ذيلنا بهما البحث.

خصصنا المدخل المعنون بـــ: **"شعر الطبيعة في تراث الأدب العربي القديم"** لمرور بشكل عام بمراحل تتناول شعر الطبيعة ضمن أهم عصور الأدب العربي، حيث رصدنا مكانة الطبيعة من دواوين فحول العرب وسقنا نماذج لذلك، وركزنا على التطور الذي لمس شعر الطبيعة بين العصر الجاهلي والإسلامي.

أما الفصل الأول: الذي كان موسوماً بـــ: **"حضور الطبيعة في شعر التنظيمات العربية الرومانسية "**، وقد سُقنا الحديث فيه عن موقف ونظرة هذه التنظيمات الأدبية لشعر الطبيعة، وكبداية رصدنا خلال ذلك كل من؛ مدرسة الديوان، وجماعة أبولو، ومدرسة المهجر بشقيها الشمالي والجنوبي، لنمهد الحديث عن "جماعة شعر" التي عرفت بخوض الشعراء المنتمين إليها في ميدان الطبيعة، فركزنا على شعر الطبيعة الصامتة تحديداً، في جملة الدواوين المعروفة لروادها.

أما الفصل الثاني: فقد جاء تحت عنوان **" توظيف الطبيعة في شعر يوسف الخال"** ، وهو عبارة عن دراسة تطبيقية ذات أبعاد ثلاث، للإحاطة بمكانة الطبيعة الصامتة من أعمال يوسف الخال الشعرية.

أما الخاتمة فجاءت عبارة عن نتائج ختامية وحوصلة لهذا الموضوع، حيث ختمنا في الأخير بإشكال مفتوح يطرح الآفاق لدراسات جديدة.

واستدعت طبيعة البحث أن نعتمد على المنهج التكاملي في هذه الدراسة، وقد استعنا في الفصل التطبيقي بالمنهج الإحصائي كأداة إجرائية، وليس كمنهج.

واستعنا بقائمة من المصادر والمراجع كان أهمها:

- أحمد فلاق عروات: تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام.
- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي.
- دواوين الشعراء.

وقد واجهتني بعض الصعوبات، من ضمنها قلة المصادر والمراجع حول جماعة شعر تحديداً، وكثرة الدراسات التي تناولت شعر الطبيعة في شعر الأدباء المحدثين،

جعلت من اختياراتي متشابكة، واستدعت مني الإنتقاء في ظل التشابه اللفظي والإختلاف الدلالي.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي واجهتني، إلا أن رغبتي في إتمام هذا البحث، كانت حافزاً في إنجازه والإجتهاد فيه، مع تشجيع أستاذي المشرف ونصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة، وضمن سلسلة البحوث الأكاديمية، تبقى بوابة البحث مفتوحة على مصراعيها أمام اجتهادات أخرى تثري هذا المجال من الدراسة.

المدخل:

"تطور شعر الطبيعة في تراث الأدب العربي القديم"

1- شعـــر الطـبـيـعـــة في العصـــر الجاهلـــي.

2- تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام.

3- شعر الطبيعة بين العصر الأموي والعباسي.

4- شـعـــر الـــطـــبـيـعـــة في الأنـــدلـــس.

1-شعر الطبيعة في العصر الجاهلي:

قدّمت الطبيعة العربية للشّاعر مجالا خصبا يصبه فيه مشاعره، وينقل عبره إبداعه، ويمارس من خلاله تأمله ويبثّ فيه شكواه، لتجد ما يجمع بين جمال الوصف وقوة العاطفة وحسن الأسلوب في شعره.

تأثّر الشاعر العربي بالطبيعة الصحراوية رغم قساوتها وصعوبة مناخها، وتعلّق بكل ظواهرها وطبيعة العيش فيها، ومن أهم ملامح هذا التأثر وقوفه على الأطلال يقول **امرؤ القيس** في ذلك:

(قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ).[1]

استحضر **امرؤ القيس** ذكرى الدّيار من خلال قصائده في صورة ارتبط فيها المكان بالعاطفة، فهو محزون لترك هذه الدّيار مشغول بذكر من سكنها،فوقف على الطلل مصوّرا منزلة دياره، في أوّل مظاهر تأثر الشاعر الجاهلي بالطبيعة.

تنعكس ملامح الطبيعة على حياة الإنسان وأسلوب عيشه وطريقة تعامله اليومي معها، في إطار ما تحتويه من ظواهر وتضاريس ومعالم بيئية، فهو مجبور على التّأقلم والإذعان لقساوة هذه الظروف، بما يمتزج من قوة بدن ورباطة جأش وشجاعة قلب عرف بها العربي على مرّ الزمان، فعاشها بين مفاخر لما خاضه، ومحزون على ما فارقه فقد شهدت هذه المعالم أمهات شعره وبنات مشاعره.

تعتبر الجبال من أشدّ التضاريس صعوبة في الطبيعة، لذا اتّخذ منها الشعراء منبرا في قصائدهم، يفاخرون باقتحام أغوارها وتحدّي تضاريسها الوعرة فيذكرون مغامراتهم معها في دواوينهم الشعرية، ومن ذلك قول **(تأبط شرا يفخر بنفسه لأنه سبق أصحابه ولم يكسل، بفضل قوته وصبره وصعوده قمة الجبل التي تشبه سنان الرّمح لدقّتها):**[2]

---

[1]- امرؤ القيس: الديوان، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2002 م، ص 17.

[2]- ينظر: نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، لبنان، ط1، 1970 م، ص24.

(وَقَـلّـــةٍ كَـــسَـــنَـــانِ بـــَارِزَةٍ ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَيْفِ مِحْرَاق.

بَادَرَتْ قِنَّتُهَا صَحْبِي وَمَا كَسِلُوا حَتّـــى نَمَيْـــتُ إِلَيْهَا بَعْـــدَ إِشـــْرَاق). [1]

تمثل الطبيعة العربية الصحراوية خلفية يجسّد عبرها الشاعر الجاهلي فخره وقدراته، أمام صعوبة تضاريسها ووعورة فيافيها، والجبال هي التحدي الذي يستحضره الشاعر في قصائده كلّما أتيحت له الفرصة لذلك، وهو ما قام به تأبط شرّا ، حيث عاصر هذه القساوة في بيئة الصّعاليك القاحلة النائية، أين ذكر قلّة هذه الجبال مشبّها إياها بالرماح التي تحمّر رؤوسها في فصل الصيف لشدّة الحرارة، حيث بادر لعبور هذه الجبال دون رفاقه واصفا صعوده إليها بالنمو الذي يأتي بعد الإشراق، وهو فعل يقترن عادة بالنبات، فكأنّه يستسهل الأمر الذي صعب على من معه دونما كسل منهم في صورة امتزج فيها الفخر بقوة الطبيعة.

وقف الشعراء كذلك على الكثبان الرملية لجمال منظرها ولجميل ما ترسمه من صور في خواطرهم بتعرجات وإنحناءات خطوطها الملتوية، فتذكّرهم بديارهم سواء ارتحلوا عنها او إليها، وتضع همزة الوصل بين ذكرياتهم فيها وهيبة الصورة التي تركتها في مخيّلاتهم، ليرسموها بدورهم بين ثنايا شعرهم، فتبرز مشاعرهم وعواطفهم من خلالها.

يقول **نوري حمودي القيسي: (إنتشرت الكثبان الرّملية في مساحات واسعة من جزيرة العرب، مشكلة جبالا وألسنة رملية متناسقة، فهي أشكال عرفها الشعراء فارتسمت صورها في أذهانهم وعندها في أبياتهم).** [2] فهو يقصد أن شبه الجزيرة العربية شهدت لشعرائها وقفات كثيرة مع جمال الكثبان الرملية، وهذا ما تؤكده دواوينهم الشعرية التي كانت حاضرة بها في كل مناسبة، ونذكر من بينهم **طرفة بن** العبد الذي

---

[1]- المرجع السابق، ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص 26.

وصف ناقته في ديوانه مشيرا إلى الرّمال في صورة جميلة يشبه فيها الرمال بشكل النّاقة وأسنامها قائلا:

(مُؤْلِلَّتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلِ مُقْرِدِ).[1]

يظهر من هذا الوصف والتشبيه ترابط مظاهر الطبيعة الحية كالنّاقة والطبيعة الصامتة كالرمال، فقد شبّه طرفة بن العبد الرمال المسمّات "حومل" بشكل ناقته وما تحمله من أسنام على ظهرها، فوجد وجه الشبه بين الناقة والرّمال وهو جمال كليهما.

ارتبطت مظاهر الطبيعة العربية بثقافة العرب، ونظرتهم لكل معتقد يضعونه انطلاقا منها ورجوعا إليها، فكانوا يفسرون ما لايجدون له سبيلا ولا تأويلا من ثنايا هذه الطبيعة، وهذا ما انطبق على الأودية التي حظيت باهتمام شعراء العرب بل وكانت كما زعموا مصدر إبداعهم، خاصة العميقة منها والتي أثارت في نفوسهم الهواجس والتصورات، فقد حفل الشعر العربي بروايات كثيرة تبين تأثير هذه الأودية ومكانتها في دواوينهم الشعرية، فخصوها بالذكر ومنهم **زهير بن أبي سلمى** يصفها قائلا:

(وَبَلْـدَةٌ لَا تَـرَامُ خَائِفَـةٌ زَوْرَاءُ مُغَبَّـرَةٌ جَوَانِبُهَا

تَسْمَعُ لِلْجِنِ عَازِفِينَ بِـهَا تَضِجُّ مِنْ رَهْبَةٍ ثَعَالِبَهَا).[2]

جاء وصف الشاعر للأودية في قصيدته مشحونا بحالته النفسية إزاء ما صنعته في نفسه من خوف ورهبة، حيث بنيت ثقافة الجاهلي على نظام يحدوه ديوان العرب وهو الشعر، وكان أفحلهم في قوله؛ من كان له قرين يملي عليه ما يقوله من شعر يفحم به أنداده من الشعراء، وفي هذه الأبيات يشبّه زهير هذه الأودية بالبلدة الخالية التي تثير الخوف، فقال أنها منعزلة وذات غبار حيث أن من يمر بها يسمع عزف الجن، وجاء وقع هذه الأخيرة شديدا في نفسه وفي شعره.

---

[1]- طرفة بن العبد: الديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2003 م، ص 23.

[2]- زهير بن أبي سلمى: الديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988 م، ص28

وردت أسماء الكثير من الأودية في الشعر، **(وتغنى بخصبها ومنازلها ومياهها الشعراء، فاستعذبوا الماء في وادي شوارق والإبطن، وكذلك وادي مطرق الذي أشار إليه امرؤ القيس، ووادي ذو طلال الذي تحدث عنه عروة، ووادي الأخص الذي وقف عنده المهلهل، وأودية أخرى حفلت بها دواوين الشعراء وكتب التاريخ والأدب)**[1]، حيث اهتم العرب بالطبيعة وبودیانها فاستحضروها في دواوينهم ومعلقاتهم، جاعلين منها جزءا من ثقافتهم، وكنّوها بمسمياتهم وقرنوها بمغامراتهم، بالإضافة إلى أنها مورد سقياهم وسكينة بالهم ووجهة لهروبهم من حرّ الصحراء.

عايش سكّان شبه الجزيرة العربية قسوة الطبيعة بين ظواهر جمعت الضر والنفع معا، والرياح أشدّ تلك الظواهر قوة و جلاءً، فمنذ القدم سعى الإنسان إلى الحصول على الكلأ ومصدر القوت والعيش، في ظلّ الطبيعة الأمّ طامعا في كرمها خائفا من سخطها، والريّاح هي صوت غضبها الغير محدود، وفي نفس الوقت أكبر دليل على جمال ونعومة رونقها، فصوّرها الشاعر العربي في قالب فنّي صامت المظهر حي المعاني في دواوينه الشعرية.

يقول **نوري حمودي القيسي** في الرياح كذلك: **(وضعت العرب لكل ريح اسما يختلف بإختلاف مناطق هبوبها، فالتي تهوي من مطلع الشام هي الشّمال، لأنّ مهبّها من بلاد العرب فما يلي الشّام، والتي تهوي من مطلع الشمس، أطلقوا عليها الصّبا كما سموها القيول، وكانت العرب تجعل بيوتها بإزاء الصّبا ومطلع الشّمس، وقد أكثر الشعراء من ذكرها).**[2]

---

[1]- ينظر: نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي. ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

فقد ذهب إلى أنّ الريّاح اقترنت في ثقافة العرب بمواطن هبوبها، وسميت تيمنا بها، ولهم إلى جانب التسمية مآرب أخرى، كالإستفادة منها في حياتهم اليومية، فما كثر منها واستبشروا به خصوه بالذكر في دواوينهم.

يقول **أبو الذؤيب** في أسماء الريّاح:

(ثَكَرْكَرَهُ نَجْدِيّةٌ وَتَمُدُّهُ يَمَانِيَةٌ فَوْقَ البِحَارِ مَعُوْجُ).[1]

ذكر الشّاعر في هذه الأبيات الرّياح بأسمائها العربية المعروفة، فهذا المظهر الطبيعي أضحى عنصرا مهما في الحياة القديمة، وفي ديوان الشّاعر القديم، فشغل وصفهم وشعرهم ويومياتهم ومصدر رزقهم وسبب نجاتهم، وفي غالب الأحيان متغيرات توقعاتهم وتنبؤاتهم.

احتل البرق منزلة عالية، في دواوين الشعراء الجاهليين، وقد أثّر في أنفسهم واحتل مكانة رفيعة منها، ونظرة الشعراء للمطر كنظرتهم للبرق، فهو مبشر به، وحامل لقداسته، يقول **امرؤ القيس:**

(أَعِنّي عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضًا يُضِيءُ حَبِيًّا فِي شَمَارِيخِ بَيْضٍ)[2].

يظهر حزن الشاعر مقرونا بوصفه للبرق، حيث بدأه بطلب العون، كلّما أصاب من البرق وميضا ينشد من خلاله الأمل فيما مر به، وكأنّه أراد أن يقول أن ضياءه في السماء هو ضياء لقلبه الحزين، فارتبطت مشاعره الحزينة ورغبته في الحصول على أمل بصورة البرق وصوته في الطبيعة، فهي تخفف عنه وطأت الألم والحزن.

---

[1]- أبو الذؤيب: الديوان، تحقيق أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2014 م، ص54.

[2]- امرؤ القيس: الديوان، ص 72.

يعدّ الرّعد تمهيدا ومقدمة لحدوث الغيث وعلامة من علاماته، ودليل على قروب حصوله، فهو سبب في استنزال المطر وقد ورد ذكره في أشعار العرب ومنهم **الأعشى** حيث قال:

(وَالشِّعْرُ يَسْتَنْــزِلُ الْكَــرِيمَ كَمَا اسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السُّبُــلا)[1].

صور الشاعر مقابلة بين صورتين، ضمت كل منهما جمالا يبعث في النفس الراحة، فقال أنّ الشّعر سبب في كرم الكريم، كما كان الرعد سببا في نزول المطر من السحاب، ووجه المقابلة هنا يدل على دور الشّعر في نفس العربي القديم ومعادلته لدور الرعد في نزول المطر.

كانت الحاجة هي مبلغ الإهتمام ومصدر الإبداع وإعمال الخيال، فحاجة العربي القديم لم تزل قائمة –في الكتب التاريخية– على وصوله لأسباب النجاة أمام طبيعة قاسية كالصحراء، ترسم بقسوتها لوحة فنية تذوب فيها ألوان الطبيعة وعناصرها، ومن أهم عناصر هذه الحاجة "المطر"، فهو الشاغل الأول لأذهانهم، والحاضر الغائب بدون إرادة منهم، وهذا ما وقفوا عليه في شعرهم، فإن كان حديث عهد بربّه التمسوه بنشوة وفرحة يعكسها الشعر بأرقى صور الجمال كيف ما تكون،وإن هجرهم إلى حين حزنوا وأظلمت على شعرهم كما أظلمت على حياتهم، فللمطر سحره الخاص في نفوسهم وسحره الكامن في بقائهم.

(اهتم العرب بالمياه، فحرصوا على المحافظة عليها مما دفعهم للاهتمام بالمطر والسحاب، وما يتعلق بهما من برق ورعد وصقيع وصواعق، فعرفوا الأنواء، ونجوم الاهتداء، ولابد أن تكون صعوبة الحياة والحاجة الملحة من العوامل التي اضطرت العربي إلى تتبع مواقع المطر، والتماس ما ينجيه وما يؤذيه، ولاشكّ أنّ فرحة البادية بالمطر عظيمة، وهي فرحة تمثلت في وقفات الشعراء الطويلة، وهم ينظرون إلى

[1]- نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص61.

السحاب والمطر والبرق والرّعد، فينتابهم الشعور بالنشوة، وتعلوهم الغبطة بالمنظر الرائع)[1]، حيث دفعت صعوبة الحياة العربي إلى معرفة الظواهر الطبيعة وأسبابها ومسبّباتها، فأولى اهتمامه بالمطر وظواهره، فإذا ما نزل فرحوا به وبما حلّ عليهم من خير، يرسم ذلك وقوف الشعراء على ذلك في كتبهم الشعرية ودواوينهم.

وصف **امرؤ القيس** "المطر" فقال:

(دِيْمَةٌ هَطْلاءُ فِيهَـــا وَطَفٌ طَبَقَ الْأَرْضَ تَحْرى وَتَدِرُ

تُخْرِجُ الوِدَّ إِذَا مَا أَشْحذَتْ وَتُوَارِيهِ إِذَا مـــَا تُشْتَكِرِ)[2].

بعث المطر الحياة في الأرض كما بعثها في نفس الشّاعر وفي كلماته، فكان حاضر البال حيّ النفس موفور النشاط، رائق السجّية فجاء وصفه على غراره.

وجد الشّاعر العربي في المطيّة المواساة الكبرى لآلامه وهمومه، سواء كانت ناقة أم فرسا، فنجده يصفها بأحسن ما يلائمها في نفسه من الأوصاف، يقول **امرؤ القيس** واصفا فرسه:

(وَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لَبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ بَكُورٍ أَوْرَوَاحٍ مُؤَوَّبِ).[3]

صوّر **امرؤ القيس** فرسه مركزا على ما تحمله من صفات جسمية بشكل حسي ومعنوي، حيث يبلغ بهذا الوصف ما كملت به جميع الصفات والمزايا التي يحبها الشّاعر في الصحراء العربية.

نقف كذلك على وصف **أوس بن حجر** للنّاقة، حيث جاء وصفه على إبراز صفاتها الحسية والمعنوية فيقول:

(وَلَقَد أَروغُ عَلى الخَلِيلِ إِذ خانَ الخَلِيلُ الوَصلَ أَو كَذَبا

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 61.

[2]- امرؤ القيس: الديوان، ص 78.

[3]- المصدر نفسه ص39.

بِجُلالَةٍ سَرَحِ النَجاءِ إِذا آلُ الجَفاجِفِ حــوَلَها اِضطَرَبا
وَكَسَت لَوامِعُهُ جَوانِبَها قُصَصاً وَكــانَ لِأَكمِها سَبَبا).[1]

يتحرى **أوس بن حجر** وصف النّاقة في هذه الأبيات، بعرض مخطط جغرافي للناحية التي تلم بتقديم صورة واضحة لهذه المطية، ثم يذكر قوّتها وصلابة التحمل لديها.

يتخبّط الإنسان في حياته بين ساخط وراض على المحن والأقدار، ولا يجد إلاّ الطبيعة ملاذا يمتص جزعه وآلامه، فيربط مظاهر الطبيعة المختلفة بحالته النفسية ويصب فيها عواطفه، ومن أشدّ المظاهر أسرا وتأثيرا على الشعراء في العصر الجاهلي " اللّيل" يقول فيه **امرؤ القيس:**

(وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيُبْتَلِي)[2].

صبّ **امرؤ القيس** في بيته الشعري فكره و عواطفه ونظرته الفلسفية للحياة، فقد وجد في الطبيعة مادة يستلهم منها أشجانه ويشكو لها أوجاعه كما فعل مع الليل حيث شبهه بموج البحر الذي يرخي سدوله، فكأنّه يدخل عليه بروية وليس دفعة واحدة كما يسدل الستار، وهو كموج البحر في تتابعه المستمر الذي لا ينتهي، فجاء توظيفه للطبيعة مرتبطا بحالته الشعورية.

يذكر الشعراء الجاهليون "اللّيل" إلى جانب امرؤ القيس في دواوينهم الشعرية وهم مثله يلبسونه عواطفهم المختلفة، فيتلوّن هذا اللّيل ويكتسب لسان الشاعر صفاته، فيتحدث به، ومن بين الشعراء الذين تحدثوا عن اللّيل **النابغة الجعدي** يقول:

(مَالي وَمَا لِابْنَةِ المَجْنُونِ تَطْرُقُنِي باللَّيْلِ؟ إِنَّ نَهَارِي مِنْكِ يَكْفِنِي).[3]

---

[1]- أوس بن حجر: الديوان، دار بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص 1-2.

[2]- امرؤ القيس: الديوان، ص117.

[3]- النابغة الجعدي: الديوان، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، لبنان، ط1، 1998 م، ص 41.

يشكو الشاعر حاله في هذا البيت، مصوّرا مقابلة اللّيل بالنهار في حضور خيال محبوبته، الذي لا ينفك من حضوره في النهار ليحضره ليلا، ليرسم لقاءا خياليا ومغامرات عاطفية بين طيات الليل، حيث كون هذا الأخير معيارا مهما من معايير الجمال، فأصبح مدخلا لتغني الشعراء بالمرأة، والتعرض إلى القيم الجمالية الراسخة فيها.

اتّجه العقل البشري منذ الأزل إلى ظواهر الطبيعة المحيطة به، النافعة والضّارة، التي ينبغي الوصول معها إلى ائتلاف وتواد، فجنح به خياله الواسع إلى تأليه المظاهر الكبرى في الكون، من كواكب وظواهر مختلفة، باحثا عن خيرها دافعا لشّرها، فجعل لكل قسم من أقسامها المؤثرة إلهّا مقدّسا يخلص له ولما يحدثه من ضر ونفع في هذه الطبيعة، والشّمس أهم هذه الظواهر وقعا وتأثيرا حيث ورد ذكر الشّمس في الشعر الجاهلي في مواضع كثيرة، وما يهمنا هو موضع الشّمس من الطبيعة وكيف أثرت على الشّاعر العربي.

ومن بين الشعراء الذين تأثّروا بالشّمس في شعرها **لبيد بن أبي ربيعة** يقول:

(وَيَــوْمٍ هَــوَادي أَمْــرِهِ لِشــمَالِهِ يُهْتِّكُ أَخْطالَ الطّــرافِ المُطَنَّبِ

يَنيخُ الْمَخَاضَ الْبِرْكَ والشَّمْسَ حَيَّةٌ إِذَا ذُكِّيــَتْ نيرانُــهَا لَمْ تــَلْهَبِ).[1]

جاء وصف الشّمس في شعر **لبيد** مرتبطا برحلة من رحلاته، حيث ذكر أن الشّمس حية وهو في ذلك يقصد أنّها توسطت السماء، ورغم ذروتها في كبد السماء إلاّ أنّها لم تفلح في تخفيف برد ذلك اليوم القارص، حيث رافقت الشّمس حياة الشعراء لما لها من تأثير في جوانب حياتهم المختلفة.

---

[1]- لبيد بن أبي ربيعة: الديوان، دار صادر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 31.

2- تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام:

اهتم شعراء الجاهلية بتوظيف شعر الطبيعة في دواوينهم، ومع نهاية العصر الجاهلي وبداية صدر الإسلام انتقل هذا الإهتمام إلى شعراء هذه الفترة، لكن توظيفهم كان مختلفا بإختلاف النظرة إلى الشعر نفسه، حيث اتخذ النقاد موقفين الأول أنّ الشّعر عرف ضعفا خلال صدر الإسلام، مما قاده إلى الجمود والتقليد، وحجتهم الأدب الملتزم الذي ظهر آنذاك، فقد **(مثّل شعراء هذه الفترة زمنهم خير تمثيل، فلم يكونوا شعراء قبائل على النمط القديم، يقولون ما لا يفعلون، ويهيمون في كل واد، بل إنّهم وضعوا أنفسهم في خدمة الأمّة الإسلامية الفتية، التي أخرجت للنّاس آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، تحمل مبدأ من أهم مبادئ الإسلام، وتعاونوا على البّر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)**[1]. تغير الهدف من قول الشّعر في هذا العصر، حيث وجّه لخدمة الدّعوة الإسلامية وتغيرت أهداف الشّعراء ومقاصدهم، وأغراض شعرهم، فكان ما ينتجه من شعر مبنيًّا على تعاليم الإسلام، ونشر الرّسالة بين النّاس مما أثر على توظيف شعر الطبيعة عندهم.

عكس القرآن الكريم قدرة الله عزوجل، حيث دعا الإنسان إلى تأمل ظواهر الطبيعة، وحث على أخذ العبر في كثير من آياته، التي ورد فيها تبيان عظمة الخالق، من خلال جلال صنعه في تصويرها، قال الله تعالى **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }** [2].

---

[1]- أحمد فلاق عروات: تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ص69.

[2]- سورة البقرة، الآية 164.

يذكر القرآن الكريم عظمة خلق الله لهذه الطبيعة الخلاّبة بكل عناصرها الجميلة، في نظرة أعم إلى الطبيعة تخالف الأوصاف السابقة، تدعو الإنسان إلى تدبّرها بعقله وتأمّل أسرارها وسرّ خالقها.

يبدو موقف **الرسول** صلى الله عليه وسلم من شعر الطبيعة **(فيما روي من أنّ كعب بن زهير حين وفد على النبيّ وأخذ ينشد قصيدته "بانت سعاد"، احتمل النبيّ في صمت أحاديثه عن الحبّ والرّحيل والنّاقة، حتى إذا بلغ مدح الرسول في صحبه نظر النبي إلى من عنده من قريش كأنّه يومئ إليهم أن يسمعوا)**[1]. فكأنه يقول أنّ كل ما هو سند للدعوة الإسلامية ومعين على نقل الرسالة وتحبيبها لقلوب الناس، هو كلام جدير بأن يسمع ويأخذ به، وإنّ خير الشعر ما قيل نصرة لدين الإسلام و رسوله ، يقول **كعب بن زهير** مستعطفا **الرسول** صلى الله عليه وسلم:

(تَعْلَمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنّكَ مُدْرِكِي وَأَنّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَــدِ).[2]

تأثر الشاعر بالدّعوة الإسلامية وبحاملها، فأضحى يمدح ويستعطف ويبذل الجهد في الوصول إلى خير ما يقال فيه وأصحابه.

حدث تطوّر بين الجاهلية والإسلام شمل بعض خصائص الشعر العربي شكلا ومضمونا في صورته بشكل عام، ليظهر تأثير هذا التطور فيما بعد على أغراض الشّعر، رغم أنّ هذا التطوّر ضئيل حيث لمس هذا التطور كلاً من:

أ. المقدمة الطللية:

إنّ التطور الذي طرأ على مناجاة الديّار في العصر الإسلامي، يتمثّل فيما **(أعرب عنه بعض الشعراء من عاطفة دينية أو ميول قومية سياسية مطبوعة بطابع البيئة**

---

[1]- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الادب العربي، مطبعة مصر، (د.ط)، 1954 م، ص112.

[2]- كعب بن زهير: الديوان، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص258.

الجديد وروح العصر، وهي ملامح ما كانت لتبرز للوجود قبل هذا الأوان)[1]. فنجد ذو **الرّمة** يقول في الطلل:

(أَمِنْ دِمَـنِ بِشاجِـنَةِ الْحُجـونِ عِفْتُ مِنْهَا الْمَنَـازِلَ مُنْـذُ حِيـنٍ.
مَنَازِلَ لاَ تُرَى الْأَنْصَابَ فِيهَا وَلاَ حُـفَـرَ المُبَـلَّى لِلْمُـنُونِ.
وَلاَ أَثَـرَ الدَّوَارِ ولاَ الْمَـآلي وَلَكِن قَدْ تُرى أربُ الْحُصونِ).[2]

نجد في مطلع هذه القصيدة ثورة الشاعر على مقدّسات الجاهلية، فهي لطالما كانت من أهم أبواب الشّعر وهي المقدمة الطللية، التي تقف على الديّار فهو يريد أنّها منازل أصحاب الإسلام وأهله بعيدا عن الجاهلية، فلا نواح ولا بكاء بل اشتياق وراحة عند التفكر والتذكرّ.

بدأت نزعة الحنين في هذا العصر تتّضح أكثر من ذي قبل، حيث نجد **الطّرماح** يذكر منازل قومه التي أصبحت خالية منهم تتخللها الرياح في كل صوب، يقول:

(مَنْزلا كَانَ لنَا مَرَّةً وَطَنَاً نحْتَلُهُ كُـلَّ عَـامٍ).[3]

نرى من خلال هذا البيت أنّ الشّاعر لم يقف على الطّلل من أجل البكاء، ولم يستوقفه الطّلل الذي استوقف الشعراء قبله، فهو ينشد الحنين ويعلن الشعور بالإغتراب في صورة جديدة يقرنها بالطلل الذي يقف عليه، وبهذا تكون النظرة إلى الطبيعة في الشعر قد اكتسبت روحًا مختلفة مع التوظيف نفسه.

تمثّل هذا التطور الملحوظ عند كثير من الشعراء ونذكر منهم **عبيد الله بن قيس** الرقيات، الذي احتوت قصيدته الشعور بالإغتراب حيث قال:

(حَوْلَه قَوْمَهُ وقَوْمي بِأَرْضٍ حَرَمٍ دُونَ،هُمْ حَنِينُ الْشَّمَـالِ.

---

[1]- سيد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص 114.

[2]- المرجع نفسه: ص 114.

[3]- الطرماح: الديوان، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، ط2، 1994 م، ص 227.

وَمُلُــوكٌ فَارَقَتُهــُمْ أَفْرَدُونـــي وَصُرُوفِ الْأَيّــامِ بِـــي وَاللّيَالِي).[1]

يتّخذ الشّاعر من الطلل منبرا ليبث من خلاله الشعور بالإغتراب، ومفارقته للدّيار وحزنه لذلك، لكن من أجل الحكمة والعظة وأخذ العبرة والتجربة ونقلها، وفي بعض الأحيان الفخر، في مقابل ذلك نجد أن شعراء الإسلام صبغوا الموقف نفسه وأضافوا نزعة القومية وطابع السياسة.

أمام من قال أن هناك ركودا في الشعر العربي، بعد العصر الجاهلي ومن قال بوجود تطور يثبته تعرض الشاعر الإسلامي للمقدمة الطللية بروح جديدة، يبقى الأمر خاضعا لطي الدراسة والبحث العلمي.

ب. الأمطار:

ورد في نصوص الشّعر الجاهلي الحديث عن الأمطار بكثرة، كون كل غائب حاضر بقوة في نفس طالبه من جهة، ومن جهة ثانية البيئة الصحراوية القاحلة، وأهمية الأمطار بالنسبة إليهم، لكننا عند استعراض نصوص شعرهم نجدها تحتوي على ذكر ظواهر الطبيعة، من سحاب وبرق ورعد ومطر، ناشدين الوصف فقط، ففي العصر الجاهلي كانت الرغبة في الشيء الموصوف هي التي تحفزهم إلى الإهتمام به، ويبالغ الشاعر في تهويل منظر الأمطار وتساقطها على أشد ما يمكن أن تحمله الصورة من معاني، ليشدّ انتباه القارئ ربما أو ليشبّع خياله الواسع عندما تكون الصورة ناقصة فيه.

نجد **امرؤ القيس (يصف الأمطار والسيول التي ألمت بمنازل قومه بني أسد بالقرب من تيماء في شمال الحجاز)**[2] حيث قال:

(كَأَنَّ سِبَاعًا فِيهِ غَرْقَى غُدَيَّــةً بِأَرْجَائِهِ القُصْــوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ).[3]

---

[1]- عبد الله بن قيس الرقيات: الديوان، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار القلم، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 125.

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، مصر، ط 2، (د.ت)، ص 225.

[3]- المرجع نفسه، ص225.

يهوّل **امرؤ القيس** المنظر بوصفه، حيث يبتغي الحياة في الصورة من خلال نقلها بهذا الوصف، سابحا بخياله نحو ما تستطيع الأمطار فعله في الطبيعة، مركزا على الموصوف وفعله المدمّر وقدرته.

يعمل شعراء فترة تطور الشعر الطبيعة على أن يكون عملهم هو حافزهم، ففي شعرهم ما يؤكد على انفعالهم، وتأثرهم بما يفعلون ويؤدون من مشاهد ومناظر، فنجد **لبيد بن ربيعة** مثلا **(رسم المطر بهدوء، حيث وضع كل المعاني في أماكنها اللائقة بها دون مبالغة أو صخب)**[1]:

يقول:

(لِتَرْعَ مِنْ نَبْـــتِهِ أَسِيْمُ إِذَا أَنْبَتَ حُرٌّ البُقُول وَالعُشُبـــا

وَلْيَـــرْعَـــهُ قَوْمُهَا فَإِنَّـــهُمُ مِنْ خَيْرِ حَيٍّ عَلِمْتهم حَسَبَا).[2]

يراعي الشّاعر الفائدة المرجوة من نزول المطر، قبل أن يراعي جمال وصفه، وينظر إلى ما بعد المطر من خير فينشده في أبياته ويتمناه.

3- شعر الطبيعة بين العصر الأموي والعباسي:

وجد شعر الطبيعة في الدولة الأموية بيئة فاتنة مليئة بالمناظر الطبيعية الجميلة من جبال وأنهار وأودية ورياض، مما ساعد على تطور أسلوب الحياة بها ومعاصرة مظاهر وأشكال جديدة للعيش، لم يعرفها العصر الجاهلي والإسلامي، مما أثر على الشعر ودواوين العرب وخاصة شعر الطبيعة، **(لذا تجددت مظاهر الحياة في العصر الأموي على نحو أكثر عمقا مما كانت عليه في الفترة السالفة، فقد أتيح للشعراء في هذه المرحلة من حياة المجتمع الإسلامي أن يتقلبوا في بيئات جديدة، شاهدوا فيها عن**

---

[1]- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص 118.

[2]- لبيد بن ربيعة العامري: الديوان، دار صادر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص23.

كثب ملامح للتطور في أسلوب الحياة)[1]، حيث انفتح شعر العصر الأموي على طبيعة جديدة، مختلفة عما ألفوه منها في العصر الإسلامي وقبله في العصر الجاهلي.

يقول **الفرزدق** مفضّلا ناقته على أي ركب:

(لَفَجٌّ وَصَحْرَاوُه لَو سرتُ فيهِما أَحَبُّ إِلَيْنَـــا مِنْ دُجَيْـــلٍ وأَفْضَلُ

وَرَاحلَةٍ قَـــدْ عَوَّدُونِي لرُكُـــوبَـــهَا وَمَا كُنْتُ ركابًا لَهَا حِينَ تَرْحَلُ).[2]

يبدو الحنين إلى الطبيعة من قبل الشّاعر في تخييره الناقة على السفينة لإرتحاله، فهو متعود عليها ويرتاح لها ولا مكان للمقارنة معها.

ظل الشعراء يقفون بالأطلال ويصفون الناقة والرحيل، واشتهر الكثير من الشعراء في طرقهم لكثير من الأغراض الشعرية، وفي وصفهم المحتشم للطبيعة ومعالجتهم لها نذكر منهم الأخطل والفرزدق.

نقف على شعر **الأخطل** فنجده يعالج مظاهر الطبيعة على المنوال القديم، ونقصد تحديدا فترة ما قبل الإسلام، ومع ذلك فهو لم يسد الباب نهائيا أمام محاولات التجديد والإبداع، يقول في بعض محاولته التي تعكس تطور شعر الطبيعة:

(أَلا يَا أَسْلَمَا عَلَى الْتَقَادُمِ وَ الْبَلَى بـــيوْمِهِ خَبْتٍ أَيُهَا الطَّلَلانِ)[3].

عبّر **الأخطل** في وقوفه عن الطلل بأسلوب الأولين في الجاهلية، لكنه استعمل مفردات بسيطة وواضحة مقارنة بالقاموس الجاهلي القديم، وهو نوع من التجديد في الشعر عامة وشعر الطبيعة خاصة.

ذهبت الدولة الأموية لتأتي على أعقابها الدولة العباسية، فخلق بين ذهاب الأولى و مجيئ الثانية تنازع بين القديم والحديث وقد بدّا على أشده في شعر الطبيعة، وكما

---

[1]- أحمد فلاق عروات: تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ص 87.

[2]- الفرزدق: الديوان، تحقيق علي فاعوا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1987 م، ص 430.

[3]- الأخطل: الديوان، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1994 م، ص235.

عرفنا سابقا فإن شعر الطبيعة عرف صدا منذ العصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلامي والأموي، لكنه لم يعدوا الوصف المادي لمظاهر الطبيعة، ليتطور مع الدولة العباسية فتضيف لهذا الوصف المادي حسا وذوقا تتآلف فيه الصورة الطبيعية مع العواطف.

ظهر خلال هذا التجديد طائفة من الشعراء نهضوا ضد القديم من الشعر، وأولهم **أبو نواس** فأول تجديد ظهر على شعره هو ثورته على الوقوف بالأطلال، حجته في هذا هو أن الوقوف بالأطلال لا يتوافق مع مظاهر الحياة الجديدة في البيئة العباسية.

يقول **أبو نواس**:

(وَدَارَ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وأَدْلَجُوا بِهَا أَثَرَ مِنْهُـــمُ جَدِيدٌ وَدَارِسُ)[1].

نلاحظ أن أول مظهر تجديدي في العصر العباسي هو كسر **أبي نواس** للمقدمة الطلالية، باعتبار أنها من مقدسات القصيدة العمودية، وربما يعاز السبب منطقيا لعدم توافق البيئة الجاهلية الصعبة والبيئة العباسية الغَنّاء، واستلزام كل منهما لطابع شعري معيّن وكما نلاحظ كذلك أن المعاني الجاهلية متروكة من قبله معوّضة بمعاني فيها حس جديد.

ظهر في العصر العباسي ما يعرف بالبديع، الذي كان نوعا من التجديد ورغبة في كسر القديم، يقول **أبو نواس** واصفا النخيل من خلال الخمر:

(لَنَا الخَمْرُ ولَيْسَ بِخَمْرِ نَخْلٍ وَلَكِنْ مِنْ نِتَـــاَجِ الْبَـــاَسِقَـــاَتِ

كَرَائِمُ فِي السَّماءِ ذَهَبْنَ طُولاً فَفَاتَ ثَـــمْرُها أَيْـــدِي الْجُنَاةِ)[2].

يوظف **أبو نواس** المحسنات البديعية وينصرف عن الجمود، وفي قاموسه المعتاد يلجأ إلى الخمر كلازمة في شعره، ويقيس عليه مواطن الجمال، ويصف لذة منظر

---

[1]- أبو نوّاس: الديوان، تحقيق بهجت عبد الغفور، دار صادر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 489.

[2]- المصدر نفسه، ص118.

النخيل وما يحدثه في نفسه مشبها إياه بالخمر، وهو نوع جديد في استخدام المعاني لم يعرفه شعر الطبيعة من قبل.

نذكر كذلك من الشعراء العباسيين الذين لمس التجديد شعرهم إلى جانب **أبو نواس**، فيخط القلم أعمال **أبو تمام**، حيث استهوت الطبيعة قلبه واستولت عليه بمظاهرها من رياض وغيث وزهر ومطر، فخرج في الوصف عما ألفه في التقليد العربي.

أين قال:

(رَقَّت حَوَاشِيَ الدَّهْرِ فَهِيَ تَمَرْمَرُ وَغَدَا الثَّرى في حِلْيَـــةَ يَتَكَـــسَّرُ.

بَدَلَـــتْ مُقَدّمَةُ المَصيفْ حَمِـــيدَةٌ وَيَدُ الشِّتَاءِ جَـــدِيـــدَةٌ لَا تَكْفُـــر).[1]

رسم **أبو تمام** في هذه القصيدة لوحة فنية يصف فيها جمال الطبيعة، من خلال توظيفه للبديع مركزا على روعة فصل الربيع، وهذا يدل على إحساسه العالي وحسه المرهف وذوقه النقي إزاء الطبيعة، فقد مهد من خلال بيته الثاني الذي تحدث فيه عن الشتاء، وجعله مقدمة لدخول فصل الربيع وكونه سببا مهما في قدومه.

4- شعر الطبيعة في الأندلس:

انتشر شعر الطبيعة في الأندلس وعرف ازدهاراً واسعاً، حيث تهيّأت أسباب ازدهاره في بلاد غَنَاء بمناظر خلاّبة ورياض واسعة خضراء، **(فشغفت بها الفنون الأخرى، وأخذ الكُتّاب ينظمون حرراً في وصف رياضها ومباهج جنّاتها وتعدّد أنهارها وبركها، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة)**[2]، يقول **ابن خفاجة** مصوّراً جنة الأندلس:

(يـــأَهلَ أَندَلُـــسٍ لِلّهِ دَرُّكُـــمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجـــارُ

---

[1]- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص78.

[2]- لطيفة العياطي: "وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري- شعر ابن خفاجة أنموذجاً"، (رسالة ماستر)، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2013 م، ص 2.

ما جَنّةُ الخُلدِ إلاّ في دِيارِكُمُ ولَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ).[1]

يعكس شعر ابن خفاجة ما احتفلت به الأندلس، من جمال الطبيعة وجمال سكّنها فكأّن حسنها انتقل إلى سكانها، فعبّر الشاعر عن غبطته بما خصهم اللّه به من طيب عيش وحسن منظر، وقد شبّهها بجنّة الخلد التي لم تجد بُدّاً إلاّ في الإستقرار عندهم، وهو إن خُيّر بين الإثنين إختار الأندلس دونما ريب.

[1]- ابن خفاجة: الديوان، دار بيروت للطباعة، لبنان، (د.ط)، 1980 م، ص 117.

الفصل الأول:

"حضور الطبيعة في شعر التنظيمات العربية الرومانسية "

1- شعر الطبيعة عند مدرسة الديوان.

2- شعر الطبيعة عند جماعــة أبولـو.

3- شعر الطبيعة عند مدرســة المهجـر.

4- شعر الطبيعة عند جماعـة الشعر.

الحديث عن الطبيعة ووصفها والإفتتان بروعتها وجمال مظهرها، ليس بالأمر الجديد في دواوين الشعراء العرب؛ فقد كان له السبق منذ العصر الجاهلي، إنتقالاً إلى العصور التي تليه، وإلى غاية العصر الحديث والمعاصر، لكن طلة الطبيعة الجديدة، لدى الشعراء في العصر الحديث، دخلت موسومة بعنوان الرومانسية، وقد ظهرت في العالم الغربي، والساحة الأوروبية، حيث **(شهدت أوروبا نهاية القرن 18، وبداية القرن 19 تغيرا على المستوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي، فتأثر بذلك المستوى الثقافي بكافة ميادينه، وانتشرت موجة الحزن في أوروبا، وذلك نتيجة هذه التغيرات، التي كانت سببا فيما بعد، لحدوث ثورة فكرية وأدبية، نادت بالعدالة والمساواة ورفع الظلم، وقد شارك فيها الشعراء والأدباء، في مختلف الفنون، تحت عباءة الرومانسية)**[1]، التي طورت من شعر الطبيعة وفتحت أمامه آفاق جديدة.

تأثر الأدباء والشعراء العرب بالرومانسية الغربية إلى حد بعيد، كما تأثروا بأهم روادها، وكان **(تأثرهم منصبا على كل من وليم وردزورث Willam Wordsorth، شاعر الرومانسية الإنجليزية، وكولردج Coleridge، وغوته Goethe، شاعر الرومانسية الألمانية، وحاملها في فرنسا فيكتور هيجو Victor Hugo، وألكسندر بوشكين Alexandre في روسيا)**[2]. فلقد إرتكزت الرومانسية العربية، على خلفية يقودها هؤلاء، حيث نجد أن الأعمال الفنية بها اكتسبت صيغة غربية المنبت.

يقول **غوته** في الرومانسية: **(هذا الإحساس الكامل والحار الذي بقلبي عن الطبيعة، هذا الإحساس الذي يغرقني في نشوة)**[3]. تجسد الرومانسية بالنسبة للشعراء الأوروبيين، إحساسا جديدا ومبلغ متعة، وطريقا جديدة لقول الشعر، في ظروف تقاطعت مع ما مر

---

[1]- إبراهيم الخليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الكتاب، الأردن، ط1، 2003 م، ص 120.

[2]- المرجع نفسه، ص 117 – 118.

[3]- أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1987 م، ص 328.

به الكتاب والأدباء العرب، فاكتسبت أعمالهم لونا غريبا بحتا، عبروا من خلاله عن آلامهم ومآسيهم ومعاناة أوطانهم.

فظهرت الطبيعة –على إثر ذلك– في الشعر العربي الحديث، في أحضان الرومانسية، التي كانت السبب في تطور شعر الطبيعة، وقد عرفنا تعامل الشاعر العربي مع الطبيعة من قبل، حيث تطور هذا التعامل مع الزمن والظروف، وعرفت أوروبا على أنها الساحة الأولى لهذا التطور، لتعقبها الساحة العربية، وتكون ميدانا خصبا لهذه التجربة، فقد **(إمتلكت الروح العربية، عاطفة مفعمة بالرومانسية، خاصة روح الشعر وذلك منذ الجاهلية، مجسدا في الوقوف على الأطلال وتقفي أثر الأحبة، إلا أنه في الشعر العربي القديم لم تعرف نظرية الرومانسية، كحركة أو مذهب أو مدرسة، وهذا لا ينفي وجودها الحسي، فالشعر القديم غني بمعالم الرومانسية)**[1]. فتميزت الطبيعة في هذه المرحلة من العصر الحديث، بدخول الرومانسية عليها محدثة تطورا فيها، مجسدا في الهروب إليها والجنوح إلى عناصرها، وبعد عجز الشعراء في حل مشاكلهم، أطلقوا العنان لشعرهم عن الطبيعة، وانتقوا منها المظاهر التي تعبر عنهم، وعن حالتهم في حزنهم وفرحهم، باحثين عن العالم الذي لم يجدوه.

ظهرت الهجرة تزامنا مع الاضطرابات التي شهدها العالم العربي، من حروب وقمع وظلم وكبت لكلام القلم، خاصة هجرة المفكرين والمثقفين، لكن في الجانب المشرق من هذا الموضوع، **(ظهر ما يعرف بالبعثات العلمية، حيث فتحت بوابة الاطلاع على ثقافة الآخر، بالإضافة إلى حركة الترجمة من الآداب الأوروبية إلى الأدب العربي، مما أدى إلى نشوء جيل من الأدباء العرب، اختلطوا بأدباء الغرب، وأسسوا جمعيات أدبية ظهر فيها هذا الأثر).**[2]

---

[1]– شوقي ضيف: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1387 هـ، ص 328.

[2]– فايز علي: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، دار الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت)، ص 37.

بالإضافة إلى عوامل أخرى (**كالطباعة، والصحافة الأدبية، فالصحافة نشرت بشكل واسع وسريع الثقافة الغربية)**[1]، كانت هذه العوامل من الأسباب التي أدت إلى انتشار الرومانسية، وظهورها فيما بعد في شكل تنظيمات وجماعات، ومدارس أدبية حديثة، اهتمت بالظروف والقضايا التي شغلت الوطن العربي، ودفعت به إلى التجديد وتبني الحداثة، ومن أهم المظاهر التجديدية التي دعوا إليها، الانفتاح على الطبيعة، خاصة مع بداية الرومانسية، التي احتضنت الطبيعة والتفت حولها.

من أهم التنظيمات الأدبية، التي اتخذت من الطبيعة مرتكزا مهما في شعر روادها، **(مدرسة الديوان)** وكذلك **(جماعة أبولو)** و **(مدرسة المهجر)**، بالإضافة إلى **(جماعة الشعر)**... وغيرها، وفيما يلي يأتي التفصيل لدور هذه التنظيمات، في تناول شعر الطبيعة، والخوض فيه من طرف شعرائها وكتابها.

1- شعر الطبيعة عند مدرسة الديوان:

أعلنت الطبيعة عن حضورها في الشعر، على واجهة **(مدرسة الديوان)***، حيث دعمت هذه المدرسة مظاهر التجديد، ودعت إليه من خلال عدة أبواب: أهمها الهروب إلى الطبيعة، يقول **عبد الرحمن حسن** في ذلك: **(النظرة إلى الطبيعة، من أوائل من نادى بها جماعة الديوان في الأدب العربي، فالهروب إلى الطبيعة واستبدالها، أو تفضيلها على حياة الإنسان، والوقوف أمامها ومناجاتها مناجاة الحميم، وبثها الأشجان والأحزان، رؤية جديدة على شعرنا وأدبنا العربي، كانت جماعة الديوان من السباقين**

---

[1]- المرجع السابق، ص 37.

* مدرسة الديوان: تمثلت بالشعراء الثلاثة: عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، وقد تألقت ما بين 1909 – 1912 م، وتعود كلمة ديوان إلى كتاب "الديوان في الادب والنقد"، وقد تزعمت هذه المدرسة الدعوة إلى الشعر الجديد. ينظر: محمد أحمد ربيع، تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر، ط2، 2006 م، ص 81.

إلى تلقيها من مصادرها، وتصديرها إلى الأدب العربي تنظيرا وتطبيقا)[1]. احتوت جماعة الديوان هذه الرؤية، الجديدة للطبيعة في الشعر، وسلطت عليها الضوء لتكون نوعا جديدا من الحداثة على أيدي **(دعائمها من أساطين الأدب الحديث، عبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني)**.[2]

انطلق **عبد الرحمن شكري** في فهمه للطبيعة، من خلال إصغائه إلى همسها وهو نوع جديد في التعامل معها، فالإصغاء إلى الطبيعة من خلال عناصرها فيه نوع من الجدة في المضمون، ولم يسبق حصوله في الأدب العربي، بشكل صريح وواضح إن صح القول، ولعل الرياح هي الأجدر استحضارا في مثل هذه المواقف، وهو ما فعله الشاعر واصفا الرياح:

(ورياح تشـــدو على ورق الـــدَّوْ ح بـــألـــحـــانِ شـــدة أو رخاء
منطـــق لم يـــدع لنفس شجونًـــا لا يُحاكي صفاتـــها في الغِنـــاء
ثم تبدو الغصون في هدأة الريـــ ـــح كَتَابٌ مُـــغلَّـــق بالـــهـــواء
وكأنـــي أصغي إلى عابر الدهْـــ ـــر وما كان فيـــك من أرزاء).[3]

يشبه **عبد الرحمان شكري** صوت الرياح بالألحان، فتجعله هذه الألحان يشعر بالراحة والرخاء، وكأن الطبيعة عازف بارع مجيد، يعزف أجود الألحان من خلال أروع الآلات الموسيقية، التي تمثلها عناصر الطبيعة، ومن بينها الرياح، والشاعر يحاول تصوير هذه المعزوفات، التي يعيشها في رحاب الطبيعة.

ينجذب شكري كذلك إلى صوت الشلال، وينبهر لمنظره، وما يأسر قلبه هو كسره لذلك الصمت المخيف، الذي يحيط بالطبيعة. يقول:

---

[1]- عبد الرحمن حسن بن يحي المحسني: "أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز"، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، 1999 م، ص 189.

[2]- محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 45.

[3]- عبد الرحمن شكري: الديوان، تحقيق يوسف نقولا، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1988 م، ص 8.

(يا أخا الصَّمْت في الجلاله والروْ ع وصنو النكــباء والهوجاء

أحسبُ الخلــد مثل مائــك ينهــا رُ ونفسي في مائه كالهبــاء

لكَ في النفس نشوةٌ مثلما استشْــ رف راءٍ من شاهقات العلاء). [1]

يعتبر الشاعر أن الشلال صورة عظيمة من صور الطبيعة، فيقرنها مع ما يلمس ذاته؛ من نشوة عندما يجمع بين الصورة والصوت، فكلاهما نجح في اكتساح قلب الشاعر، وهو أبدع في نقل ذلك الشعور، عبر إحساس الطبيعة.

اتخذ شعراء الديوان طريقا أخرى في عشقهم للطبيعة، وبدا ذلك واضحا في إبداعاتهم الشعرية؛ فهربوا إليها كبداية للتجديد، ثم أصبحت ذواتهم منصهرة فيها بعد أن تطور حبهم لها، فالشاعر في صور كثيرة منها يصبح أحد عناصرها، فهو تارة عصفور وتارة أخرى غصن شجرة، وأحيانا كالبحر بسحره، وأحيانا أخرى كالليل بعظمته، وفي مرات آخر هو الفجر بنوره وطلوعه، يقول شكري واصفا حال المضطرب الفازع في الحب، كحاله والطبيعة قائلا:

(هْو كالعصفورِ غرِّيدًا على غصنِه والغصنُ يزهو كالشبابِ

وترى العاشــقَ في لوعاته أبدًا بيــن سكــونٍ واصطخابِ

وهْو كالبحرِ وللحب جلالٌ كجلال البحرِ مخشيُّ العبــابِ

وقطــوبٌ كقطــوب الليــلِ إنْ أقبلَ الليلُ كإقبــال السحــابِ

ولَهُ بشر كبشر الفجــر إن ســرَّه وعــدُ حبيبٍ بإقتــرابِ). [2]

تشارك الطبيعة حياة الشعر وعواطفه، فيقابل تقلب عاطفة المحب بتقلبات عناصر الطبيعة، فشبه الشاعر المحب بالعصفور الذي يغرد تعبيرا عن حبه، ويذكر عظمة الحب فيقرنها بعظمة وجلال البحر، وإن اكفهر هذا الحب وتغير، فهو يربطه بالليل وتسرب ظلمته، وإن عاد هذا الحب فردا مبتهجا، فهو كالفجر يأتي مبشرا بالفرح.

---

[1]- المصدر السابق، ص 512 – 513.

[2]- المصدر نفسه، ص 342 – 343.

وشبه الشاعر في موضع آخر من ديوانه الطبيعة بالنفس فقال:

(وما لنفس إلا كالطبيعة وجهها رياض وأضواء وبحور

وفيها صـــراخ أليم إن ماج موجه وفيها خرير خافت وغدير

وليـــل وإصبـــاح لهـــا كواكـــب تسيـــر بآفاق بها وتـــدور).[1]

وظف **شكري** الطبيعة، لتعبر عن حياته وحبه وعواطفه، **(فالشعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة)**[2]، والطبيعة وعاء لهذه العواطف، فقد تطور حبه لها فأصبحت معادلا موضوعيا لكل أحاسيسه، بل وأصبحت مرادفا لنفسه ووجدانه، فهي تضطرب للاضطراب نفسه، وتهدأ لهدوئها.

يقول كذلك:

(إذا كنتُ في روض فقلبـــيَ طائـــر يُغَنّي على أغصانه ويطيـــر

وإنْ كنتُ فوق البحر فالقلب موجة تَسَرَّبُ في أمواجه وتسير).[3]

عبر **شكري** عن حبه للطبيعة، من خلال تمثلها في روحه، وتجسيدها في شعره، فأحب منها الجامد والحي، وتجاوز هذا الحب والاستمتاع به، إلى أن أحس بأنه يمثل كلا من هذه العناصر، فهو كالطير في الحرية والبحر في العمق والغموض.

يقول **شكري** في قصيدة موسومة بعنوان **(الطبيعة)**، معبرا فيها عن نظرته المتفائلة في شعر الطبيعة، حيث يظهر مرحه من خلال جمالها:

(تعالَـــوْا بنـــا نُعْـــطِ الطبيعـــةَ حقَّـــها من البثِّ والإجلالِ والصلـــواتِ

فقـــد زعمـــوا أنَّ الحيـــاةَ رزيئةٌ إذا لم تُنَلْ ساعاتها الحسناتِ

وقد حَرَّكَتْ تلك العصافيـــرُ شَجْوَنـــا بوقعِ عنـــاءٍ ليّـــنِ النغمـــاتِ).[4]

---

[1]- عبد الرحمن شكري: الديوان، ج2، ص 226-227.

[2]- شكري، ج 3، ص 243.

[3]- المصدر نفسه، ج 2، ص 226.

[4]- عبد الرحمن شكري: الديوان، ج 2، ص 217.

كانت نظرة الشاعر فيما سبق، حزينة ومتشائمة، وقد ظهر ذلك في شعره جليا، لكن الطبيعة حركت مشاعره، وغيرت نظرته القديمة الكئيبة، فأضحى يتحسر على ما فاته من سعادة، وعلى قوم أقنعوه أنّ هذه الحياة لا طائل منها، لكنه أدرك أن الجمال الكامل في الطبيعة، هو سر السعادة في الحياة.

ربط **شكري** في شعره بين الطبيعة والعواطف والشعر، لأن **(العواطف هي القوة المحركة في الحياة، وهي للشعر بمكانة النور والنار)**[1]، ومن خلال هذه العواطف انتقل بالطبيعة من مرحلة الاستمتاع بجمالها، إلى مرحلة الاندماج فيها والإحساس بها، وهو مظهر جديد، لم يسبق لشعر الطبيعة أن عرفه، وسمحت عناصر الطبيعة المختلفة للشاعر بأن يوظف من خلالها عواطفه المختلفة، فالشاعر **(لا يعبر عن عاطفة واحدة أو نفس واحدة بل يعبر عن كل نفس)**[2]، وبعد أن تطورت علاقته بشعر الطبيعة ألقى عليها نظرته التفاؤلية، وألبسها حللا جديدة.

يعتبر **المازني** من الشعراء الثلاث، الذين تفوقوا في توظيف الطبيعة في شعرهم ضمن جماعة الديوان، ويكمن تفوقهم في مبلغ التجديد وفق هذا التوظيف، حيث يتخذ الإنسان موقفا من الحياة، أمام عجزها في إثبات صدقها، في حين يجد الإنسان ما يبحث عنه في كُنه الطبيعة،

يقول المازني:

(ما بي إلى الناس إطراب فأفقدهم إذا اعتزلت وهل للداء فقدان
خل الرياح تناجي وتعزف لي فللرياح كما للناس ألحان
والبحر كالنفس مرآة ترى صوراً منها بها ولعجم الموج تبيان).[3]

---

[1]- المصدر السابق، ج 3، ص 244.

[2]- المصدر نفسه، ج 4، ص 326.

[3]- إبراهيم المازني: الديوان، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ج2، (د.ط)، 1961 م، ص 102.

يغير **المازني** ما ألفه الناس من قوانين الراحة الإنسانية فيجد راحته على غرارهم، في عزف الرياح وصوتها، فتخيل أنها تناجيه هو دون غيره، وهو لأجلها يعتزل الناس وفي ذلك يجد الدواء لذاته، كما يرى في البحر مرآة صافية نقية، تعكس للإنسان نقاء روحه، فهي كالنفس في تشبيهه لها، ويرى في الموج وضوحا لا يراه غيره من الشعراء، ممن وصفوه بالغموض، فكأن هذه الظواهر الطبيعية تشارك الإنسان في نقطة وصل هي النفس.

يضطرب شعر **المازني** كإضطراب نفسه في الطبيعة، فقد وظفها في شعره وأسكنها روحا حية تدب فيها الحياة، حيث ربط شعره بعناصرها الجامدة الصماء والخرساء ليكسب شعره جمال هذه الطبيعة الساكنة؛ يقول:

(فلائح شعري إنه الريح مرةً تقر وأخرى لاتـــني تتعجرف
وتلفحـــنا منها السموم وتارةً يباديك منها جربياء وحرجف
وتزفـــــر أحياناً وترقـــد مثلها كذاك لشعري سورة وتآلـــف).[1]

تتآلف نفس الشاعر والطبيعة، عبر الرياح التي تضطرب كنفسه، وهنا يربط الشاعر بين الطبيعة وعواطفه، فقد **(عاد بالطبيعة، وناجاها واجدا في شجوها الصامت مثالا جليلا لما يجده في نفسه، ويحسها في قلبه)**[2]. فالطبيعة تضطرب وتتقلب مثلما يضطرب الإنسان ويتقلب في مشاعره، حيث شبه الشاعر الريح بتقلبات نفسه.

تصيب **المازني** موجة من التشاؤم تسكن نفسه فلا يرى من الطبيعة إلا ما يثبت ما يحس به، وما ينقل هذا الإحساس، فيبحث عن مظاهر السخط في الطبيعة، والجدب والعزوف والإكفهرار، حيث أضفى **المازني** على هذه المظاهر، نوازع نفسه الغير مطمئنة الحزينة والقلقة .يقول:

(وصوت لا شيء في الدنيا أسر به ولا يفزعني دهري بأرزاء

---

[1]- المصدر السابق، ج2، ص318.

[2]- عبد الرحمان حسن بن يحيى المحسني، "أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز"، ص197.

إذا سمعـــت لريـــح الليـــل زمزمةً حسبتها نادباً ألحان سرائي

كالبحر نفسي لا مأوى ولا سكـــنٌ ولا قرار لها من فرط ضوضاء

أقول في الصيف ويلي من سمائمه وفي الشتاء ألا بعداً لمشتائي).[1]

يربط **المازني** بين الصوت والصورة، ويسقطها على نفسه فيبدع في رسم صورة شعرية، تنقل إحساسه وعواطفه الحزينة، حتى أنه قال: **(إن في قلب الطبيعة لهموما، لا يطلع عليها إلا كل من يفهم لغة الحزن الصامت، ولقد كانت هذه الهموم منبع الشعر، ومازالت إلى اليوم معينا لا ينضب)**[2]. فصب الشاعر حالته الشعورية المتشائمة على كل ما ينسجم معها من عناصر الطبيعة.

يبدع **المازني** مع تطور علاقته بالطبيعة، فلا ينفك يذكر ما يلهمه، ويزرع الأمل بقلبه، كبريق النجوم وطلوع الشمس ونورها، يقول:

(وللنـــجـــوم بريـــــق لا أفـــرقـــه عن لحظ ميتـــة حسنـــاء عذراء

فـــي أبحـــر من زجاج لا بهاء لها ما بين سوداء أو خضراء زرقاء

حتى النهار وحتى الشمس أنكرها كأن في نورها ديدان غبراء).[3]

يجد **المازني** في النجوم وبريقها أملاً، يحيي لحظات من عمره قد كانت حسبه ميتة، فيرقب معها طلوع الشمس والنهار، فهو يجد في ضوئها ونورها أملا له ويكسب من خلالها نظرته المتفائلة للحياة.

يذكر **العقاد** الطبيعة في شعره لكنه لا يصل إلى ما حققه المازني وشكري، ربما لأن طريقة معالجته لشعر الطبيعة، بالنظرة الجديدة تختلف عنهما، إلا أنه يشترك معهما في

---

[1]- المازني، الديوان ،ج2، ص 191-192

[2]- محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982 م، ص220.

[3]- المازني، الديوان،ج2، ص 191-192.

حب الطبيعة، حيث قال: **(فإذا اتجه الشاعر العظيم إلى الطبيعة، فهو الذي يسمعك الخليقة الأولى، منقولة في لفظ والسماوات والأرضين منظومة في لحن)**[1]، يقول:

(أحبــك حب الشمس فهي مضيئة وأنت مضيء بالجمال مــنيــر

أحبـــــك حب الزهر فالزهــر ناضر وأنت كما شاء الشباب نضيــر

أحبــك حبـــــي للحيـــــاة فإنــهــا شعور، وكم في القرب منك شعور

فهل في ابتغائي الشمس والزهر سبَّةٌ وهل في ولوعي بالحياة نكيــر).[2]

يربط **العقاد** بين الشمس والزهر، وبين الحبيب، فتصبح مظاهر الطبيعة معادلاً موضوعيا عن الحبيب، ويجعل منها شريكاً له، في هذه الفترة المتشائمة، فيلقي عليها طوال الطريق ظلال الحزن، فتتلون الطبيعة بنفسية **العقاد** وتعكس ألمه.

وقد حاول **العقاد** في شعره حول الطبيعة، إيجاد نوع من الشعر يتفاعل مع الطبيعة التي أحبها واختارها حيث قال:

(وكم كلفت بحب الناس لي زمنا فاليوم بعضهم من خير آمالي

فاليوم أكبرهم عندي كأصغرهم إن الطبيعة مقياسي ومكيالي).[3]

عدلت الطبيعة من مزاجية **العقاد** ونظرته للحياة وإلى الناس في الوقت ذاته، يقول: **(فإذا الطبيعة بقضها وقضيضها مجموعة لديك، وإذا بك تعيش في كل ناطقة وصامتة، وكل متحركة وساكنة، من ذلك العالم السرمدي الرحيب، تحوله كله إلى جزء من حياتك، أو تجعل حياتك ممدودة مبسوطة على كل جزء منه)**[4]. فقد جعلته الطبيعة يعيد النظر، وغير نظرته في وقت واحد، وبذلك يساوي الكل بمقياس الطبيعة في شعره.

---

[1]- العقاد: مطالعات في الكتب والحياة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)،(د.ت). ص 119-120.

[2]- العقاد: الديوان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص199-200.

[3]- المصدر نفسه، ص154،155.

[4]- العقاد: مطالعات الكتب والحياة، ص200.

2- شعر الطبيعة عند جماعة أبولو:

تعتبر جماعة **(أبولو)**[1] من أهم المدارس الأدبية العربية، التي ضمت أسماء هامة من الأدباء والشعراء، وقد **(تولى أبو شادي سير هذه الهيئة الأدبية بصفة دائمة، واختير أحمد شوقي رئيسا لها).**[2] فبعد تراجع عمل **مدرسة الديوان**، وإنقطاعها عن نظم الشعر وإنصراف روادها إلى شؤونهم المختلفة، جاءت جماعة **أبولو** لتكمل مسيرة التجديد، عبر البوابة نفسها وهي الطبيعة؛ فبعدما اتخذت **مدرسة الديوان** الطبيعة ملاذا للهروب إليها، أمام قسوة الحياة ومشاكلها، دققت جماعة **أبولو** أكثر في تعاملها مع الطبيعة، حيث ركزت على جعلها منبرا، لبث الشكوى والألم والحزن؛ فالشاعر يتعامل مع الطبيعة وفق مفتاحين، الأول يحوي حيوية الطبيعة، وحركتها وقوة الحياة المجسدة في مظاهرها الحية، فينطبق ذلك مع التفاؤل والرغبة في الحياة، والثاني يحوي الجمود والهدوء، والطبيعة الساكنة الصامتة؛ حيث ينطبق ذلك مع الحزن والإحباط والتأمل، وظروف الأدب العربي في تلك الفترة، تناسب المفتاح الثاني من بوابة الطبيعة.

عرفت جماعة **أبولو** قامات أدبية مختلفة، باختلاف روادها ومواقفهم اتجاه الشعر العربي، وقد كان لهم بصمة واضحة في شعر الطبيعة، ومن أبرز رواد هذه الجماعة **أحمد زكي أبو شادي** مؤسس جماعة **أبولو**.

اهتم أبو شادي مؤسس جماعة **أبولو**، بشعر الطبيعة فقد وجد في عناصر الطبيعة وظواهرها، مجالا يوظف من خلاله إبداعه، حيث **(تأثر أبو شادي بنزعة أبولو الرومانسية، ودعا من خلال مبادئها إلى التجديد في الشعر، واستعمال دلالات جديدة، والدعوة إلى تشخيص التجربة الذاتية بمناجاة طبيعية، ودواوينه الشعرية ومؤلفاته، فهي**

---

[1]- جماعة أبولو: هيئة أدبية من أعلام وأدباء وشعراء ونقاد: أعلن الشاعر **أبو شادي** عام 1892-1955 م ميلادها وجعل مركزها القاهرة. ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، القاهرة، 2002 م، 97.

[2]- محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2002 م، ص 97.

تعد من أرفع الإبداعات الشعرية التي استمدها من الكون والحياة والطبيعة).[1] فقد احتلت الطبيعة جزءا كبيرا من أعمال جماعة شعر، وذلك من خلال نزعتهم الرومانسية.

يقول **أبو شادي** في قصيدة **(الخريف)** يشكو اللوعة والألم في ثوب الطبيعة التي تغيرت في ناظريه، وشاركته حزنه:

(يا قمارى الروض في أيك الهوى جفّت الروضة من بعد النديم
حــل بالأيــك خريــف منكـــر وظــلال قــاتمــات وغيــوم
ماتــت الــروضــة إلا طائــفــاً من هوى حي على الذكرى يقوم
فــإذا أنكـــر مــا حــل بهــا فر يبغي سربــه بين النجوم).[2]

وظف **أبو شادي** عناصر الطبيعة، من روض وغيوم ونجوم، وذكر الفصل الذي يلائم حالته النفسية فإختار الخريف، فحل عليه وأذهب بهجته وحيويته، كما يذهب الحياة من الطبيعة، ويلبسها حلة قاتمة حزينة، فجمع توظيفه لها بين الإبداع الفني، وحسن الصياغة الشعرية، وعكس الحالة الشعورية على ما يناسبهما من مظاهر الطبيعة.

ومن القامات الأدبية الهامة في جماعة الديوان **إبراهيم ناجي** الذي **(يعد من أهم شعراء العصر الحديث البارزين في الشعر الرومانسي، فقد كان مثاليا يهفو إلى عالم من الطهر والنقاء، والكمال الإنساني والبهاء العاطفي، فقد جاء شعره في معناه، وازداد جمالا بقدرة الشاعر الفنية، وقدرته على رسم ملامح الجمال الفني، الذي تمثل في الإقتراب من مصادر الجمال في الطبيعة)**[3]. تأثر **ناجي** بالرومانسية فجاء شعره في

---

[1]- صلاح الدين محمد عبد التواب: مدارس الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2005 م، ص 178.

[2]- إبراهيم ناجي: شعر إبراهيم ناجي (الأعمال الكاملة)، هنداوي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2012 م، ص 194.

[3]- سارة علي سيد حسين: "الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي"، (رسالة ماجستير)، جامعة الفيوم، 2014 م ، ص 01.

الطبيعة متأثرا بها، حاملا لنظرة حزينة، وسوداوية متشائمة يعبر من خلالها عن ما بداخله، من شعور عميق بالحزن واليأس والألم، فيجعل من الطبيعة مأوى لكل هذه الأحزان.

يقول في قصيدة **رثاء شوقي** يستحضر الصحراء بوحشتها الرهيبة:

(يا نازل الصحراء موحشة ريانـــة بالصمت والعـــــدم

سالت بها العبرات مجهشة وجرت بها الأحزان من قدم).[1]

يرثي ناجي فقدان الشاعر أحمد شوقي، ويشبه الفراغ الذي تركه بوحشة الصحراء، فقد جعل ما حوله صامتا معدما، بعد رحيله وهو في قصيدته يقطر لوعة وحزنا لفراقه، يشعر بوحشة الصحراء وفراغها داخله.

وفي قصيدة أخرى للشاعر **إبراهيم ناجي** بعنوان (في الظلام) يوظف الفراشة كرمز جمع فيه بين متناقضين، الجمال والحزن يقول:

(وما راع قلبـــي منك إلا فراشة من الدمع حامت فوق عرش من الورد

مجنحة صيغت من النور والندى تـــرق على روض وتهفـــو إلى ورد).[2]

يكسب الشاعر نفحة حزنه، حتى لعلامات الجمال وظواهر من الطبيعة، حيث نرى **(صورة الفراشة الجميلة تمثل الدموع، وتحوم فوق عرش من الورد، تمثل ما بالشاعر من الحزن القاتل والكآبة الشديدة).**[3]

وفي موضع آخر يخاطب **إبراهيم ناجي** الرياح ويشكو همه من خلالها، يقول في قصيدة **(الأطلال):**

(يا ريحا ليس يهدأ عصفها نضب الزيت ومصباحي انطفا

---

[1]- ناجي إبراهيم: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2008 م، ص 63.

[2]- المصدر نفسه، ص 119.

[3]- وادي طه: شعر ناجي الموقف والأداة، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1994 م، ص 107.

وأنا أقتـــات من وهم عفـــا وأفي العمـــر لنـــاس ما وفى).[1]

عبر الشاعر عن حبه ولوعته اتجاه محبوبته، مستعينا بالطبيعة فشبه حاله بتقلبات الرياح وعصفها، وكانت سببا في نضوب الزيت من مصباحه، فقد كان يقصد بالزيت، اللقاء والوصال الذي حرم منه، وذاك المصباح هو شعلة حبه واشتياقه.

اتخذ رواد جماعة أبولو من الطبيعة، منطلقا للتعبير عن أحزانهم ومآسيهم ومنهم **أبو القاسم الشابي**؛ فالطبيعة تأخذ حيزا بارزا من ديوانه، **(غير أن وصف الطبيعة لم يكن مقصودا لذاته عنده، بل أراد الشاعر من خلاله أن يربط بينه وبين أحواله النفسية، ومن أبرز العوامل التي جعلت الشابي يتعلق بالطبيعة؛ تنقله منذ نشأته الأولى مع أسرته في أماكن متعددة ذات مظاهر طبيعية مختلفة، أضف إلى ذلك اتجاهه إلى الشعر الرومانطيقي)**[2]. وقد تجلى حبه للطبيعة من خلال مجموعة القصائد التي نظمها ومن أهمها قصيدة **(إرادة الشعب)** الذي يقول فيها:

(ظمِئـــتُ إلـــى النـــور، فـــوق الغصونِ	**ظمِئـــتُ إلـــى الظـــلِ تحـــت الشـــجرْ**
ظمِئـــتُ إلـــى النَّبْـــعِ، بيـــن المـــروجِ	**يغنِّـــــي ويـــــرقص فـــوقَ الزّهَـــرْ**
ظمِئـــتُ إلـــى الكـــونِ أيـــن الوجـــودُ	**وأنَّـــــى أرى العـــــالَمَ المنتظـــــرْ).**[3]

يظهر لنا من خلال الأبيات، مدى تعلقه بالطبيعة وهيامه بها، إلى درجة التقديس، وبذلك فهي في نظره أهل العبادة.

يوظف **الشابي** الطبيعة في شعره، من خلال الهروب إليها، فهو يرى سعادته في تفرده بها، ومضيّ سنين عمره بين جبالها وغاباتها. يقول في قصيدة **(ليت لي أن أعيش هذه الدنيا):**

(ليـــــت لـــي أن أعيـــش هـــذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي

---

[1]- ناجي إبراهيم: الديوان، ص 132.

[2]- ينظر: مجيد طراد، ديوان أبو القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، 2004 م، ص 29.

[3]- المصدر نفسه، ص 411.

أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات بـــيـــن الصنوبر الميّادَ).[1]

حلم **الشابي** أن يعيش في وحدة منفردا مع الطبيعة، هاربا من الدنيا وقسوتها، متأثرا بالمذهب الرومانسي، معدّداً عناصر الطبيعة التي تحضر مخيلته وتشغل فؤاده، وهذا التخيل يدل على قوة خيال الشابي، وتصويره المبدع في الشعر لمظاهر الطبيعة وجمالها، من خلال وجدانه المتيم بها.

يستبدل **إيليا أبو ماضي** رحاب الدنيا بالطبيعة الواسعة، ليكسب راحة باله وشجون عواطفه، فيستغني عن ما يراه كبتا لعواطف، ويبدله بصفاء الطبيعة وسفوحها الواسعة، يقول في قصيدة **(في الفقر):**

(ساعة في الخلاء خير من الأعوام تقضى في القصر والأحقاب

يـــا لنفـــســـي فإنهـــا فتـــنـــتنـــي بالحديث المـــنمق الخـــلاب). [2]

يربط الشاعر في صورة زمنية، بين الحيز المغلق والمفتوح، فكان إنغلاق الفصول والأحقاب طويلا ينفر منه، وخير عليه ساعة في مكان مفتوح بلا حدود فأمعن الوصف فيه معللا اختياره وتخييره إياه، بجمال ما افتتن به، هذا وإن دلّ فهو يدلّ على ما وصلت إليه الطبيعة، من قلب **إيليا** وعقله.

يأتي توظيف **إيليا** للطبيعة في مجمل شعره، مقترنا بنفسه وأحاسيسه فقط، فيجعلها سر وجوده ومصدر راحته والحل له من كل معضلة، والملجأ له من كل مشكلة فمنها انطلق –في رأيه– وإليها يعود . يقول في **(الإله الثرثار):**

(أنت جزء من الكيان وفيه كثـــراه، كنبته، كحصـــاه

كالورود التي تحب شذهـــا فالبعوض الذي يخاف أذاه

ما لحـــي عنـــه انفصـــال إن دنـــيـــاه هـــذه أخـــراه).[3]

---

[1]- مجيد طراد، ديوان أبو اقاسم الشابي ورسائله ، ص 285.

[2]- المصدر نفسه، ص 48.

[3]- المصدر نفسه، ص 773.

انتقل **إيليا** بالكيان والكينونة، التي تنطلق من الطبيعة لتصل إلى الإنسان، فيجد سر وجوده من خلالها وعبرها وينتهي في هذه الحلقة إليها، **(فهذا الوصف الناطق للطبيعة يجعلنا نمتلئ شعوراً بأن الطبيعة فيها مثل ما فينا من حياة، وأننا جزء من هذه الطبيعة الحية)**[1]، ربط **إيليا** بين الله والكون والطبيعة، ففي نظره أن الكل واحد وهو ينبثق من الإنسان ليعود إليه.

يعتبر **ميخائيل نعيمة** الحلقة الأهم في شعراء المهجر الشمالي؛ من حيث توظيف الطبيعة في شعره ومواقفه النقدية حول الطبيعة، حيث قال في كتابه **(زاد المعاد): (لو فكرتم بأن الطبيعة ما كانت كما هي لو لم يكن أقل ما فيها كما هو، وبأن العناصر الأربعة لا تجهد ذاتها في تكوين زئبقة ، أكثر ما تجهد ذاتها في تكوين شوكة، وأن القوة المبدعة لو كانت تؤثر البلبل على الغراب، لما خلقت يوما غرابا)**[2]. يقول ميخائيل نعيمة في قصيدة **(الأجراس):**

(أغصان الغاب تلاعبنـــا وهوام الغاب يداعـــبنـــا

وصخور الوادي تدعونا وصدى الأجراس يعاتينا).[3]

يصور **نعيمة** حالته الشعورية، متدفقة بين أصابع الطبيعة، تغمره السعادة، في ضوء الغاب، **(فالغاب هنا ملجأ الشاعر، الهارب من زيف الطقوس الدينية، وهو لا يعبأ بعتاب الأجراس، وهنا الإندماج الكامل مع الطبيعة).**[4] فهو قد تعلق بالطبيعة وذاب معها لتكون متغلغلة في شعوره وإحساسه.

وفي موقف آخر يصور **ميخائيل نعيمة** موقفه من الطبيعة، في قصيدته **(من أنت يا نفسي؟)**، فيقول:

---

[1]- عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط 1، 1977 م، ص103.

[2]- ميخائيل نعيمة: زاد المعاد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1970 م، ص98.

[3]- صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، ط1، 1994 م، 420.

[4]- المرجع نفسه، ص420-421.

(هل من الأمواج جئت ؟ هل مـــن البرق انفصلت ؟

أم مـــع الرعد انحدرت؟ هل مـــن الريـــح ولـــدت؟

هل من الفجـــر انبثقت؟ هل من الشمس هبطت؟).[1]

يطرح الشاعر في شكل إستفهامي، على نفسه أسئلة وجودية، يبحث عبرها عن وجوده ووجدانه، لكنه يبطن الأسئلة بأجوبتها، ويذهب إلى أن الطبيعة هي مبعثه الأول ومنبته الأصلي، وأنه جزء منها وينتمي إليها، حيث يقول **(الأرقش)** في مذكراته فيما مضمونه؛ أن **(نعيمة يحارب فكرة سيادة الإنسان على الطبيعة، لأن الطبيعة في معتقده مرآة الإنسان، وهي في الواقع ليست سوى مرآة له، في خيره وشره وجماله، كما يكون هو تكون الطبيعة حوله فمفتاح الطبيعة ليس في الإنسان نفسه، وذلك المفتاح هو معرفتها).**[2] ربط **ميخائيل نعيمة** وجود الإنسان بالطبيعة، واستخدم مظاهرها في قصائده، ليوازن ثنائيات الوجود في لوحة فنية.

---

[1]- المرجع السابق، ص415.

[2]- ميخائيل نعيمة: مذكرات الأرقش، مؤسسة نوفل، بيروت، ط5، 1971 م، ص80.

3- شعر الطبيعة عند المهجر:

نشأ الأدب المهجري، نتيجة للظروف التي مر بها الأدب العربي، فمنذ **(أواخر القرن التاسع عشر، نزحت إلى بلاد كولومبوس، جماعات من أبناء البلاد العربية، ولاسيما من لبنان وسوريا، بعضها هرب من جور الأتراك، وبعضها انتجاعا للزرق، والبعض الآخر للسببين معا)**[1]. فقد انطلقت نخبة من المفكرين والأدباء، وطالبي العلم حاملين في جعبهم حبهم لأوطانهم، وقضيتهم نحو الأمريكيتين، و**(شهدت الساحة الأدبية العربية، ما يسمى بحركة الهجرة الأولى؛ التي اتجهت نحو أمريكا اللاتينية، وقد عرفت هذه الحركة إزدهارا ملحوظا، في الأدب العربي المكتوب خارج حدود الوطن، حيث ظل الأدباء لفترة لا يكتبون إلا باللغة العربية).**[2]

ظهرت جماعتان شكلتا طفرة، في الأدب العربي بشكل عام والأدب المهجري بشكل خاص، وهما (الرابطة القلمية ويرأسها **جبران** (عميدا)، و**ميخائيل نعيمة** (مستشارا)، ويعمل تحت لوائهما ثلاثة آخرون؛ منهم **إيليا أبو ماضي**، و**نسيب عريضة**، وغيرهم)[3]، أما العصبة الأندلسية فقد (ترأسها **ميشال معلوف**، و**رياض معلوف**، و**إلياس فرحات**، وغيرهم)[4]. وقد اهتمت كل من الجماعتين بشعر الطبيعة، ونزعت إلى الرومانسية والوجدان، واستحضرت من خلال مظاهر الطبيعة المختلفة، الوطن الغائب في أبصارهم الحاضر في قلوبهم، وهذا ما انعكس على اعمالهم وكتاباتهم الشعرية.

1.3. شعر الطبيعة عند أدباء المهجر الشمالي (الرابطة القلمية):

اهتم رواد الرابطة القلمية بشعر الطبيعة، فقد وجدوا فيه ضالتهم للهروب من الواقع، ومن ظروفه القاسية، وهذا ما ينطبق على الشاعر **جبران خليل جبران**، الذي عشق

---

[1]- عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص 17.

[2]- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية للكتاب، (د.ط)، 1996 م، ص 12.

[3]- عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص 22.

[4]- المرجع نفسه، ص 28.

الطبيعة وغذّا روحه منها، وافتتن بجمالها وصدقها ونقائها، فكان ممن صدمتهم الحياة، بخيبات أوطانهم وأنفسهم، فهربوا إلى الطبيعة ووجدوا فيها، ما يملأ الشرح الموجود بين أنفسهم والواقع.

لعبت الطبيعة دور البديل، الذي عوّض من خلاله الفقد الكبير في حياته، والشعور بالأمان المغيب من الحياة، **(نتيجة الواقع الذي عاشه في طفولته لبنان، حيث أدرك بحسه المرهف النافذ، مدى الإنفصام الحاصل بين فتنة الطبيعة الخلابة، وبين قسوة علاقات الحياة اليومية بين البشر، فاختار الإنحياز إلى الطبيعة وسحرها)**[1]. حيث تحدّث جبران عن طبيعة وطنه لبنان، **(فكساها ثوبا من التأمل والفلسفة وطابعا من الروح الإصلاحية)**[2].

اعتنق **جبران** المذهب الرومانسي، وأسكنه زوايا شعره وتجلى ذلك من خلال هروبه إلى الطبيعة، والتعلق الشديد بها، **(وهذه عادة الرومانسيين، الحالمين بالخلاص من فساد المجتمع، والذهاب إلى طُهر الطبيعة البكر)**[3]. فلقد تطورت علاقة الشاعر بالطبيعة في هذه المرحلة، وذلك بفضل الرومانسية، التي ساعدته على أن يعتبر الطبيعة، نفسا يناجيها ويبادلها الأحاسيس والمشاعر، فيمنحها روحا من روحه، كأنه يلقي بها بذرة من بساتين نفسه، فترتد سنابل وحقولا يحصد منها ما زرع، فلا تخذله كما فعل واقعه.

يروي **جبران** على ألسنة عناصر الطبيعة، قصصا تمجّد وجودها وعلاقتها من هذا الكون، وأنّ سرّ الوجود مكمنه في جمالها الفائق واللامحدود، وهو ما تمثل في قصيدته

---

[1]- نزار بريك هنيدي: جبران خليل جبران المواكب، الدار السورية الجديدة، سورية، ط1، 2002 م، ص 10.

[2]- نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية دراسات في شعر المهجر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، 1964 م، ص 193.

[3]- ينظر: العروبة، يومية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، حمص، العدد 14839، نيسان، 11، 2017 م.

الشعرية المسماة **(المواكب)** و(المؤلفة من حوالي مائتي بيت)[1]، فهي الأغنى في قصائده من حيث تناول العناصر الطبيعية، وقد جاء في طياتها، الدعوة الصريحة للعودة للطبيعة؛ يقول جبران:

(ليس في الغابات راع لا ولا فيها قطيع

فالشتـــا يمشـــي ولكن لا يجاريه الربيع).[2]

وظف **جبران** الطبيعة توظيفا جديدا في شعره، من خلال قصيدة **(المواكب)**، أمام الحوار الذي فتحه بين الطبيعة والإنسان، حيث ذكر الحرية التي يجدها الإنسان في الغاب وأن لا حاكم أو سلطان عليه، فشبه الحكام والسلطة بالراعي، والمنصاعين له بالقطيع، فالطبيعة تقدم له الحرية التي ينشدها، وفي نظره أن أهمية الشتاء، رغم زواله بعد حين أكثر من بهجة الربيع وبهائه، فلولا الشتاء لم حل الربيع، ولولا قسوة الطبيعة، لما اجتهد الإنسان في معرفة سبل العيش والحياة.

لقد بسطت الطبيعة الحياة في قصيدة جبران، حيث جرّدها من التعقيد والتكلف، وربطها بالبساطة والحرية والسهولة، يقول في قصيدة المواكب:

(ليسَ في الغابـــات حزنٌ لاَ ولا فيها الهمـــومْ

وغيـــومُ النـــفّـــس تَبـــدو مـــنْ ثَنـــايا النُّجومْ).[3]

جعل الشاعر الحياة في الغاب خالية من الحزن والهم، فصوّر أيامها جميعاً ربيعاً غير منقطع، وجمع بين حسن التركيب في الصياغة، وسعة الخيال في التعبير، فجعل للنفس غيوما والنجوم ثنايا، وإن دلّ هذا على شيء، فهو يدل على تأثير الطبيعة بنفس الشاعر.

---

[1]- جبران خليل جبران: المجموعة الشعرية الكاملة. تقديم أنطوان القوال. دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2010 م، ص 201.

[2]- المصدر نفسه، ص 83.

[3]- المصدر نفسه، ص 84.

يستحضر **جبران** بالمهجر ذكرياته مع وطنه، وطبيعة الأسرة، ويدعو النّاس بشكل صريح، إلى ترك المدينة القاسية المزيفة الفاسدة، واللّجوء إلى الطبيعة بنقائها وصفائها. يضيف جبران بقوله في قصيدة المواكب:

(هل إتخذتَ الغابَ مثلي منزلاً دونَ القصور
فتتبعتَ السواقي وتسلقتَ الصخور
هل تحممتَ بعطر وتنشفتَ بنور
وشربتَ الفجر خمراً في كؤوسٍ من أثير).[1]

يصف **جبران** من خلال هذه القصيدة وهذه المقطوعة، طبيعة وطنه لبنان، ويتغنى بها وبما تزخر به من جمال المناظر، ووضع نفسه بين جبالها وسواقيها وغاباتها، حيث دعا الناس إلى ترك المدينة، والذهاب إلى الطبيعة، والغوص في جمالها العميق النقي والصادق، لقد جاءت سطور قصيدته في هذا المقطع، ظاهرها إستفهام وباطنها جواب لهذا الإستفهام، كأن الشاعر يسأل نفسه ليجيب عنها.

يعتبر **إيليا أبو ماضي** من أهم شعراء الرابطة القلمية، وأبرز رواد المدرسة المهجرية، **(فقد اتخذ منها سندا له في تجاربه الشعرية، و شاركها في مواضيع الحنين إلى الوطن، والتفاؤل والنزعة الإنسانية والتأملية، لكن السبب الحقيقي لتميز إيليا في الشعر، هو توظيفه لطبيعة فيه، حيث كونت الطبيعة شخصيته بشكل جعل منه، مصدرا للإلهام والرومانسية، فلقد آمن هذا الشاعر بأن الإنسان ماء وطين، وبأن الطبيعة هي أمه الأولى، فباح لها بأسراره وفهم أسرارها، وذاب في جمالها وهرب إليها فاحتضنته)**[2]. فإذا تصفحنا دواوينه، نجد أنها قائمة على ألفاظ الطبيعة؛ التي تشكل

---

[1]- جبران خليل جبران: المجموعة الشعرية الكاملة، ص 94.

[2]- ينظر: عبد الرحمن شيبان، المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية، مصلحة الطباعة المعهد التربوي الوطني، ط1، 1974 م، ص 872.

متنفسا له فهو كغيره من الشعراء المهجريين، الذين وظفوا الطبيعة في الشعر، من خلال عواطفهم وتأملهم العميق للحياة من خلالها.

أثرت الطبيعة في **أبي ماضي**، إلى درجة التقديس والكمال، فصيّرها في نفسه مذهباً وعقيدة له، يقول في قصيدة **(كتابي)**:

(فأصبح رأيي في الحياة كرأيها وأصبحت لي دين سوى مذهبي قبلا

وصار نبيّ كلّ ما يُطلق العقلا وصار متاب الكون لا صحفا تتلى).[1]

ذاب **إيليا** كليا مع الطبيعة، فقدّسها وانتهجها كملّة في حياته، وزاوج بينها وبين المنطق، وجعلها رفيقة للعقل، وصرّح في هذه الأبيات أنّه لا يعترف بأقوال الصالحين، ولا الكتب السماوية، لذا اُتهم بالإلحاد من طرف النقاد.

2.3. شعر الطبيعة عند أدباء المهجر الجنوبي (العصبة الأندلسية):

إهتم شعراء **العصبة الأندلسية** [2]، بكل موضوع يخدم موقفهم الهجري، وحنينهم إتجاه أوطانهم التي هجروها، فوجدوا في أحضان الطبيعة، بعض العزاء لتنقل رسائلهم، وتسمع أصواتهم، فيجدوا لها صدا عبر الشعر الذي سمي شعر الطبيعة.

كان للطبيعة أثر واضح في الشعراء المهجريين، وخاصة شعراء المهجر الجنوبي، فقد إستلهموا منها أهم مواضيع شعرهم، ووجوا فيها مساحة جيدة، لتعبير عن وجدانهم ووطنيتهم وإنتمائهم، يقول عيسى الناعوري في ذلك: **(أدباء المهجر جميعهم من أخلص بأبناء الطبيعة وعشاقها، فهم عميقو الإحساس بها، عميقو الحب لها، والإتصال بها، يرون في كل ما فيها أشياء حية، وهم لذلك يناجونها ويستلهمونها)**[3]. فالعلاقة بين

---

[1]- إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 599.

[2]- العصبة الأندلسية: هي جماعة أدبية قامت في المهجر الجنوبي، في البرازيل بمدينة سان باولو، مؤسسها الشاعر المهجري ميشال معلوف، ثم خلفه الشاعر القروي. ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1973 م، ص 91.

[3]- عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت)، ص 98.

الشاعر والطبيعة غير مباشرة، لكنها فطرية في شعره، وبينه وبينها وفاء منقطع النظير. يقول الشاعر **فوزي معلوف** في قصيدته **(فنون الطبيعة):**

(طبـــيعـــة كأنـــها دمـــيـــة صنع يدي مصور مـــاهر

لولا هواها ما عرفنا الهوى ولا ابتسمنـــا للغد الحائر

ولا نظمنا الشعر لولا الندى منتظم في سللها النّاضر)[1]

يذكر الشاعر أمام إفتتانه بالطبيعة، مهارة الخالق في صنعها، وعشقه الكبير لها، الذي عوض ما عاناه وما سيعانيه في المستقبل، كما يرى أنه لولا جمال الطبيعة ونضارتها، لما نظم شعره وأتقنه بدوره.

ربط شعراء المهجر الجنوبي، بين رموز الطبيعة ورموز الحياة والواقع، فأسقطوها على ما يعيشونه ويتعايشون معه من ألم وحزن، طامحين في الحصول على بديل في أحضانها، وفي ذلك يقول **شوقي ضيف: (لقد جعل المهجريون أشعارهم منطلقا يطلبون من خلاله، واقعا مغايرا للواقع الذي عاشوه، لهذا فقد دعوا إلى التحرر من اللغة التقليدية في الشعر، والأخذ من الرومانسية، وما يجري فيها من ألم، وتأملات في الطبيعة والوجود)**[2].

تأثر شعراء العصبة بالمذهب الرومانسي، واستلهموا من الطبيعة الحلول لمشاكلهم، والتعبير عن مآسيهم و خذلان الواقع لهم.

يقول **رياض معلوف** في قصيدته التي عنونها بـــ **(العصفور الأعمى):**

(عذابك في الهوى هـــذا عذابي وهمك أيها العصفـــور همّي

سقطت من الغصون وكنت تشدو لها من حصرة وجدوى وظلم).[3]

---

[1]- فوزي معلوف: الديوان، هنداوي، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت)، ص 98.

[2]- شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 292.

[3]- رياض معلوف: زورق العباب، المكتبة العصرية للكتابة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1955 م، ص

يشارك الشاعر همه مع العصفور، كأنه صديق يحس به، فاتخذ منه رمزا للمحبه وتضحيته، فهو لا يجد من يعطي قيمة لهذه التضحية، وماله إلاّ أن شكو همه للعصفور الذي اتخذ منه رمزا.

ووضح الشاعر **القروي** في قصيدة **(الدوحة الساقطة)**، علاقة الطبيعة مع الإنسان حيث قال:

(نحن النبات جميعنا راض بما قسم القديــر

نحيا سواء ليــس يم تاز الكبير عن الصغير

هذا التــراب طعامنا وشرابنا هــذي البحور)[1].

يؤمن الإنسان في قصيدة القروي بالطبيعة، ويجعل منها معاشا له وحياة لا تنتهي، في علاقة متبادلة بينه وبينها.

يقول **محمد ظهير الإسلام** في بحثه **(مساهمات شعراء العصبة الأندلسية في الشعر العربي المهجري)**، أن **(شعراء المهجر العرب، الذين يستوطنون أمريكا الجنوبية، تتمثل لهم الطبيعة بألوانها اللامعة، ورياضها الغناء، وأزهارها الزاهية، وقد تغنوا بها أكثر مما تغنوا بمحبوبتهم، كما أظهروا قضية الحياة والكون من خلال الطبيعة، فالشاعر المهجري يشعر بأنه أخ للغابات، وأشجارها وأنهارها ووديانها، وابن من أبناء الطبيعة)**[2]. أمام طرق باب التجديد من طرف العصبة، مثلت الطبيعة أهم مواضيع الشعر لديهم، وجانب من جوانب فهم الذات والوجود، فجعلوا لها حيزا مهما في أعمالهم الشعرية.

يقول الشاعر **شكر الله الجر** في قصيدته **(تيجوكا)**:

(غسلت بمائك عيني وعدت فأبصرت ما للناس لا تبصر

---

[1]- القروي: الأعمال الكاملة، منشورات جرس، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1916 م، ص 245.

[2]- محمد ظهير الإسلام: "مساهمات شعراء العصبة الأندلسية في الشعر العربي المهجري"، (أطروحة دوكتوراه)، جامعة داكا، 2016 م، ص 247.

فبالله قل لـــي الألـــم تظـــل كـــذلك تجتاحـــك الأعصر)[1].

يصف الشاعر الطبيعة بتأمل عميق، فهو ينظر إليها بعين لا يمتلكها غيره، عين تتحسس الجمال وتتدبر وتقول فيه الشعر.

وقال **رشيد سليم خوري** في مكان آخر من ديوانه:

(للروض في وجه القدير ملامح والبات في كف النسيم مراوح

وروائح الـــورد الـــذي فـــوائح وعلى الجماد من الحياة لوائح

والشـــــمـــــس مـــشـــرقـــــة ووجـــــهـــــك كـــــالـــــح)[2].

تحكي الطبيعة بصمتها لغات مختلفة ومشاعر متعددة، وتأسر الشاعر وقارئه معاً في قصيدة واحدة، تتحدث بإسم الصمت، فيعبر الشاعر عن معتقده وإيمانه، فقد **(اتسم الشاعر المهجري، بالهدوء والإتزان، ورفع من مستواه الفني ، وأشاع في شعره الموسيقى العذبة)**[3]، والطبيعة الصامتة، قد تقول ما لم تقله الطبيعة الحية، بحيويتها وصخبها وصوتها المتأجج في كل ما هو حي.

4- الطبيعة عند جماعة الشعر:

قامت عدة ثورات تجديدية في الأدب العربي، سواء على المستوى الشكلي أو على مستوى المضمون، فقد شهدت فترة الخمسينيات ظهور **(شعر التفعيلة)**[4]، مع **نازك الملائكة** و**بدر شاكر السياب**، لتفتح بوابة جديدة أمام الأدب بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة، كما تغيرت مواضيع الشّعر، فركّز الشعراء على الأوضاع السياسية

---

[1]- شكر الله الجر: **المقتطف**، رقم 4، 1 أبريل 1932 م، ص 403.

[2]- رشيد سليم الخوري: ديوان القروي، الجمهورية العربية الليبية وزارة الدولة، ليبيا، (د.ط)، (د.ت)، ج 1، 1971، ص 225.

[3]- حسن جاد: الأدب العربي في المهجر، المحمدية دار الطباعة، ط2، 1963 م، ص 403.

[4]- **شعر التفعيلة:** (الشعر الحر) هو شعر سطر لا شعر شطر، يقوم هيكله على التحرر في تكرار التفعيلة، والتحرر من القافية وقيودها، ويمثل الشعر الحر مرحلة جميلة في تطور الموسيقى الشعرية، نشأت في النصف الأول من القرن العشرين. ينظر: مصطفى عليوي كاظم: جينوم الشعر العمودي والحر، دار صادق الثقافية، العراق، ط1، 2018 م، ص 129.

والإجتماعية، التي تحيط بالوطن العربي، وعرفوا شعر القضية والإلتزام، فعرّوا الواقع من زيفه، وكشفوا ظلم الإستعمار وخبث الغرب ومساعيه، وقهر الفقر والآفات الإجتماعية، ومخلفات المستعمرات، قد تختلف خلفيات الشعراء وقد تتعدد ديانتهم وأوطانهم، لكنهم يعرفون أن الله واحد، والوطن واحد.

إنتشر التجديد وتخللت الحداثة صفحات الشعر العربي، لتظهر (قصيدة النثر)[1] ويكتمل التجديد في كسر الأوزان الشعرية، والخوض بحرية في قضايا الحرية، وفي خضم هذا الطّرح كانت الطبيعة أهم المواضيع التي تطرقت لفهم أسئلة الوجودية، أسئلة الأزل التي يستحضرها الشاعر العربي كلما شعر بالضياع والتشتت والغربة؛ يطرح هذه الأسئلة على الطبيعة كلّ مرة، وفي كل زمن ومكان الطّرح يختلف كل مرّة، فالطبيعة في شعر **امرؤ القيس** بالأمس، غير الطبيعة في شعر **يوسف الخال*** اليوم، وذلك لتطور التعامل معها مع مرور الزمن، فقد تغيرت نظرة الشاعر وتغيرت عواطفه وتطلعاته واحتياجاته، اتجاه ما يفقده ويجده في الطبيعة.

لم يأتي التطور الحادث مع شعر الطبيعة صدفة، فقد احتوته تنظيمات وهيئات أدبية حديثة، وألبسته حلة الأكاديمية والأدبية المدروسة وفق أهم المذاهب الأدبية وأهمها الرومانسية.

---

[1]- قصيدة النثر: هو جنس أدبي جديد يجمع بين الشعر والنثر، تم الإصطلاح على تسميته "قصيدة النثر" وهي ترجمة للمصطلح الفرنسي Poème on prose . ينظر: محمد عبد المطلب: قصيدة النثر، الجسرة الثقافية، قطر، ط2، 1999 م، ص 27.

* يوسف الخال: ولد في 25 كانون الأول (ديسمبر) 1917 م، في قرية عمار الحصن في وادي النصارى في شمال سوريا أسس (مجلة شعر) عام 1957 ودار النشر التابعة لها، توفي عام 1987 م. ينظر: يوسف الخال: دفاتر الأيام، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 409.

ومن أهم التنظيمات الأدبية التي تبنت شعر الطبيعة باهتمام، **(جماعة شعر)**[1]، فقد جاء توظيفها مميزا، حيث تناولت الطبيعة في رحاب **قصيدة النثر**، التي حققت قفزة أدبية في مسار التجديد العربي، فبعد **(عودة يوسف الخال عام 1955 إلى وطنه من الو.م.أ، وتشبعه بالثقافة الغربية، وخاصة الأمريكية، وفي ظل مجموعة من الظروف التي كان أهمها؛ أن الشعر العربي بحاجة إلى مدرسة تحتضن تجارب الشعراء الطليعيين، ومع أخذه للتحوّلات التي عرفها الشعر الأمريكي في نهضته، أن أسس "مجلة الشعر"[2]، وهي النواة المؤسسة للمشروع التحديثي الشعري العربي)**[3]. عبّدت هذه المجلة الطريق لكثير من المنظمات والهيئات الأدبية، ممن اتبعوا مسار التجديد بعدها.

1.4. أدونيس:

تعرف جماعة شعر على أنّها أيقونة التجديد المفتوح واللامحدود، في جميع المجالات الأدبية، فهي تؤمن بالآخر وتأخذ عنه دون حرج، وتوغل في الحداثة بأقوى إندفاعاتها، ومن أهم أعضائها تجسيدا لما سبق قوله الشاعر **(أدونيس)*** ، الذي كتب بلغته الأدونيسية الفريدة والمميزة، وطرق باب التجديد بقبضة قوية، وفي خضم هذا التجديد تتربع الطبيعة عمادا لشعر أدونيس المتقلب المضطرب بين متفائل ومتشائم.

---

[1]- **جماعة شعر:** هي منظمة أدبية جمعت رواد **(مجلة شعر)**، وهي عبارة عن تجمع شعري ضم إلى جانبه كلاّ من أدونيس، وخليل الحاوي ونذير عظمة، وهم الشعراء الأساسيين الذين شكلوا نواة التجمع منذ البداية. ينظر: ساندي سالم أبو سيف، قضايا النقد والحداثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005 م، ص 16.

[2]- **مجلة شعر:** هي مجلة أدبية، وحركة حداثية لما أصبح يطلق عليه **(تجمع الشعر)**، نشر لها أول عدد شتاء 1957، تصدر في أربع أجزاء في السنة، ينظر: مجلة الشعر، العدد 1، السنة 1، كانون الأول 1957 م، ص 2.

[3]- ساندي سالم أبو سيف: قضايا النقد والحداثة، ص 15 – 16.

* أدونيس: علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس، زعيم الحداثة العربية وعرّابها الأول، هو أديب سوري مهاجر، ولد عام 1920 م، هو أحد مؤسسي المدرسة الشعرية الجديدة في العصر الحديث. ينظر: محمد العربي فلاح: أدونيس تحت المجهر، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2008 م، ص 87.

فلقد **(إرتبطت الطبيعة في شعر أدونيس بالجانب الروحي والنقاء والطهارة، وفي أبعد تقدير العقيدة، حيث يربط أدونيس الصور التي يستحضرها من الطبيعة)**[3] . يقول في قصيدة عنونها بـــ **(فصل المواقف):**

(من يعطيني ورقة أحمّلها أكداسًا من البخور والصندل

أنقطها كالعروس وأجلوها

أقرأ عليها سورة مريم

أهزّ فوقها جذوعي من الشوق والحلم

وأرسلها الى أحبابي

مليئة كتفاحة

خفيفة وخضراء كمهرة الخضر).[2]

تعطي الطبيعة لأدونيس الشعور بأنه مخلص أو مطهر، يغرق في العالم الآخر من خلال الطبيعة فيسمح لنفسه بالغوص في برزخها، وفي أحيان أخرى تعطيه الشعور بأنّه يتمثلها وهي نفسه، ويصف الأشياء بأوصافها وكأنّ قاموسه هو الطبيعة نفسها، يهرب أدونيس من المتحرك الواضح عند البشر إلى الجامد الساكن في الطبيعة، عند ممارسته التطهير في شعره وتعبيره عنه، فهو يجعلنا نعتقد أنّ العالم مدنس.

وضعت التنظيمات الأدبية السابقة تطورات حول العالم الذي حلموا به والطبيعة كانت هذا العالم، الذي يخلو من النواقص ويتحدث عن الكمال، يذهب أدونيس بخلافهم في هذه النقطة، وينتقد تفكير الإنسان من خلال الشعر الذي يكتبه في الطبيعة، إنّ نظرة أدونيس تحمل بين طيّاتها أنّ الإنسان يجب أن لا يحلم بمدينة فاضلة كما سمّاها أفلاطون بل عليه أن يلجأ إلى الطبيعة الواقعية على الأرض، بل قد قسمها أدونيس كما يقسم الناس، بين صالحين ومدنسين، فكانت في نظره طبيعة طاهرة وطبيعة مومس.

---

[3]- أدونيس: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1975 م ، 109 – 110.

[2]- أدونيس: السؤال الديني في شعر أدونيس، دار النهضة العربية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 55.

يقول:

(وأنت امنحيني اللّغة

باركيني

أيتها الأم

أيتها الطبيعة المومس).[1]

يضع أدونيس الطبيعة موضعا مقدسا حين يطلب منها البركة رغم أنّها مدنسة، هذا تناقض قام في تفكير أدونيس، كأنه تشبيه غير مباشر مع الإنسان، فكأن هذه الطبيعة هي مرآة روحه.

يجعل أدونيس من الطبيعة ساحة يمارس فيها غروره ونرجسيته، حيث يقول في قصيدته المعنونة بـــ (شجرة النهار والليل) يتباهى فيها بنفسه وسبقه وريادته:

(قبل أن يأتي النهارُ، أجيء

قبل أن يتساءل عن شمسه، أضيء

وتجيء الأشجار راكضة خلفي، وتمشي في ظليَ الأكمام،

ثم تبنى في وجهي الأوهام

جزرا وقلاعا من الصمت يجهل أبوابها الكلام).[2]

تبرز الأنا الصامتة في لغة الطبيعة الأدونيسية، فيقول **أدونيس** عبر شفاه الطبيعة التي لا تتكلم، بأن شاعرها مجدد بالفطرة ورائد في تجديده وسبقه وصدارته، فقد وصف مجيئه الذي يأتي قبل النهار، وهو كذلك يسبق ضوء الشمس ويكشف الجديد قبل الجميع، ثم يشبه الناس الباحثين بالأشجار، وقد ذكر بأنهم يتبعون مساره ليحصوا على ذلك الجديد، لكنه كالطبيعة في صمتها.

---

[1]- المصدر السابق، ص 96.

[2]- محمد ثابت: أروع ما كتب أدونيس، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2016 م، ص59.

يستخدم أدونيس الطبيعة بشكل مميز وجديد كلياً، حيث استعان في توظيفه الجديد بالرموز، فهو في بعض مواطن شعره يحسب نفسه كرمز ينتقل بين أبيات القصيدة بدلالات مختلفة، وفي أحيان أخرى يبث في الرمز من روحه وأحاسيسه فتتلاحم رموز الطبيعة وروح الإنسان. يقول:

(الفجر يقطع خيطه

يضع الجفون على التراب

ويداي ساريتان تحتضنان

أشرعة الغياب).[1]

يشتاق أدونيس للطبيعة، فيستخدم حواسه، وكل جسمه في تحسسها، في صورة فنية يبدع من خلالها في ربط الحواس والإشتياق والطبيعة.

يُلبِسُ أدونيس شخصيات ورموز قصائده صفات من الطبيعة فهو يعتبرها مصدر قوة يقول في قصيدته **(وجه مهيار):**

(وجه مهيار نار

تحرق أرض النجوم الأليفة

هو ذا يتخطى تخوم الخليقة

رافعا بيرق الأفول

هادمًا كل دار

هو ذا يرفض الإمامة

تاركا يأسه علامة

فوق وجه الفصول).[2]

---

[1]- أدونيس: أغاني مهيار الدمشقي وقصائد أخرى، دار مجلة شعر، بيروت، لبنان، ط1، 1961 م، ص299.

[2]- المصدر نفسه، ص158.

يعرض الشاعر في قصيدته التي عنونها بوجه مهيار الرمز الذي تدور حوله أحداث القصيدة، حيث يأخذ بربط أوصاف هذه الشخصية الرمز بعناصر الطبيعة من نار ونجوم وبرق، فيجعل من تقلبات الطبيعة الصامتة بفصولها تقلبات لحياة الإنسان مما يجعل استخدام الطبيعة عند أدونيس ذو أبعاد مختلفة ومتطورة إلى حد بعيد مقارنة مع من سبقه.

2.4 خليل حاوي:

يعتبر **خليل حاوي*** من الشعراء البارزين في جماعة شعر وله أسلوبه المنفرد في كتابة الشعر الذي يبث فيه نجواه وشكواه وآلامه، فقد كانت نظرته للواقع مأساوية وهو ما يلمسه القارئ منا في معظم أعماله، وكانت تلك النظرة نتاجاً للواقع العربي الأليم الذي انتقده وسبب له خيبة أمل توالت في أعماله، فانتشرت نغمة الحزن في أعمال خليل حاوي ولونت شعره بالكآبة والخذلان واليأس، فوجد في الطبيعة منبراً لبث هذه الشكوى وهذه المشاعر الثقيلة على صدره.

إن المتأمل في تجارب خليل حاوي الشعرية يجد أنها **(تغنت بالخصب كدليل على القوة والصمود الذي يراه في أمته، ففي مراحل متعددة من تجاربه، غنى خليل الخصب بينبوع من الروحانية الوثنية الأولى، حيث كانت الروح الكونية، وتجربة التغني بالخصب ترد عبر التجربة الوجودية العامة التي تتحرى عن منابع القوة والصمود في الكون كي يكون قادراً على الصمود والتجدد من ذاته وبقواه الخاصة به الهاجعة في قلبه والغزيرة بينبوع البراءة الأولى تماثل في النفس قوى الخصب في الطبيعة)**[1].

---

* **خليل الحاوي:** شاعر لبناني معاصر، ولد مطلع عام 1919م، في الشوير، إحدى قرى جبل لبنان وشب مع الجلاء الاستعماري وبروز الفكر القومي الوحدوي في ظل واقع سياسي عربي سبب هزيمة الجيوش العربية، فمات منتحراً احتجاجا على ذلك . ينظر: علي نجفي ايوكي، أشكال التناص الديني في شعر خليل الحاوي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد السادس، 2011 م، ص1.

[1]- إيليا حاوي: خليل حاوي في مختارات من شعره ونثره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1984 م، ص47.

وهو ما انعكس مع معظم أعماله الشعرية، وعكس مكانة الطبيعة في حياة خليل الحاوي ومواطن تأثيرها في نفسه.

(وظف خليل حاوي الطبيعة في شعره باعتماده على رموزها التي جعل منها حاملاً لمختلف دلالات الحزن والسأم والألم على حال وطنه والأمة العربية، ولأن معظم أعماله جاءت مليئة بالرموز الطبيعية فهو شاعر وجداني، فالرمز الطبيعي يظهر بالخصوص عند الشعراء ذوي النزعة الوجدانية، ومنهم من يمد اللفظة المتقطعة من مظاهر الطبيعة شحنة شعورية خاصة تجعلها تفوق دلالتها لتعبر عن مدلولات جديدة مختلفة)[1]. بث عليها حالته الشعورية المتمزقة، لعلها ترمم النقص الذي أتلفه واقعه المؤلم.

اعتمد **خليل حاوي** على الرموز في شعره، وهو ما ميز جماعة شعر في توظيفها للطبيعة، حيث حملوا رموزها دلالات مختلفة تعبر عن عواطفهم وحالتهم الشعورية **(فعناصر الطبيعة بأكملها تعبر عن حالة الشعراء النفسية والعاطفية وتحولاتها، لذا لا يعاب على الشعراء استخدام الرموز ذاتها بل وتكرارها في القصيدة الواحدة، فالشاعر يقصد التعبير عن نفسه وما يشعر به، لا التغني بمظاهر الطبيعة لذاتها فحسب)**[2]، يعني أن توظيف الطبيعة في الشعر تطور مع رواد جماعة شعر وذلك من خلال أن يكون الرمز الطبيعي محملاً بعدة دلالات في القصيدة الواحدة، وهو بذلك يجعل من نفسه فضاءً واسعا لنفسية الشاعر.

وظف **خليل حاوي** في ديوانه (الناي والريح) بعض الرموز الطبيعية، وأهمها **الريح** فحمله سخطه وغضبه أحياناً وخوفه أحيانا أخرى، يقول:

---

[1]- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967 م، ص219.

[2]- عبد القادر القط: الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص303.

(للريح جوع مبارد للفولاذ

تمسح ما تحجز

من سياجات عتيقة

ويعود ما كنتُ عليه

التربة السمراء في بدء الخليقة

بكراً لأول مرة تشتهي

بحضن الشمس، ليل رعد). [1]

تمثل الريح في هذه القصيدة رمزاً لنفسية الشاعر المتقلبة، لكنها رياح أصيلة تهيج في أول الأمر فتكون بقوة مدمرة، لكنها تعود في نهاية المطاف لعهدها الأول لتلاطف ما تمر به، وهكذا حال نفسه تثور لتهدأ، فتصبح الرياح في القصيدة رمزاً من رموز شخصية **خليل الحاوي**.

تقول **آمال منصور** معبرة عن رمز الريح في الطبيعة ومكانته **(حيث تتحرر دلالته المعجمية، وتطلق دلالته السيميولوجية السابحة في فضاء النص، بإعتبار الرمز دليلاً يحيل على الموضوع، فالريح رمز لفعل التخطي والتجاوز والتغيير)**[2]. أين يجعل الشاعر من الرمز حمالاً لهمومه المختلفة، وهو ما فعله مع رمز الريح الذي جعله رمزاً لثورة وللغضب وللعدو وقوة الإرادة.

يستعمل **خليل الحاوي** توظيفاً جديداً لرمز الريح حيث يحمله دلالات مختلفة من قصيدة لأخرى، فهو في قصيدة **(الناي والريح)** يحمل معنى الثورة والإرادة، الغضب والتدمير، لكنه يتغير ضمنياً ليدل على معناً آخر، ففي قصيدة **(السندباد في الرحلة الثامنة)** يحمل معنى الشّر والقوة في نفس الوقت، وفي هذه القصيدة يتحدث عن حال الوطن العربي والتصدي لموجة الإحتلال الصهيوني، يقول:

---

[1]- خليل الحاوي: الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1972 م، ص180.

[2]- أمال منصور: أدونيس وبنية القصيدة المعاصرة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2007 م، ص37.

(خفت الرياح السودُ يخفيه

وموج أسود يعلكه

يرميه لريّاح

أغلقت الغيبوبة البيضاء عيني

تركت الجسد المطحون

والمحزون بالجراح

للموج والرياح)[1].

يتخذ رمز الريح في هذه القصيدة مدلولاً آخر، وهو رمز الإرادة، وقد قصد بذلك إرادة الوطن العربي الذي أراد منه أن يقف ليقاوم الكيان الصهيوني، وهكذا فإن رموز الطبيعة نضجت مع خليل الحاوي، لتحمل مدلولات كثيرة في نفسه وتعبيراً عما يساورها.

3.4. جبرا إبراهيم جبرا

يضع **جبرا إبراهيم جبرا*** لنفسه مكانا مميزا بين أعضاء جماعة شعر، ويخوض في تجربة شعر الطبيعة ويعتمد فيه على حالته النفسية وجدانه وأمهات خواطره، فيصف أحوال الواقع أو كما يسميه **(المدينة)**، يقول في قصيدة **(تموز في المدينة)**:

(غضبة الشتاء وفرحة الربيع

وإذا نفخت الشمس في نارها

اشتعل الثمر ضاحكا لكل يد

---

[1]- خليلي الحاوي: الأعمال الكاملة، ص 243.

* جبرا إبراهيم جبرا : هو أحد أهم المفكرين العرب الذين برعوا في ميادين جمة، وهو ناقد وفنان ومترجم، ولد جبرا في مدينة بيت لحم الفلسطينية عام 1920 م، وهاجر إلى بغداد واستقر بها. ينظر: عناد غزوان، " جبرا إبراهيم جبرا منجزه الفني وآراؤه في التشكيل العربي"، **مجلة رؤى الفكرية**، جامعة سوق أهراس، العدد السادس، أوت 2017 م، ص123.

فتستجيب، وتفيض الأحضان بالذهب

والروح في الشارع المشدود

بحبال الضوء والظل مازالت تلد

بضع قشات فارغات

في الريح تكبو وتقشعر، فتخشى

هجمة الريح وتطويح العاصفة).[1]

يجعل جبرا من الطبيعة كائنا حيا وله مشاعر، يغضب ويفرح فيصف تعامل الطبيعة مع مشاعرها، ثم يهوي لحال مدينته ويذكر القلق والخوف من المستقبل، وما يحمله، ويبدي الوجه الآخر للطبيعة في هذا الوصف.

يعيش جبرا حالة من التفاؤل والأمل ويربط حالته بفصل الربيع، الذي حلم فيه ونام عليه، فيذكر تفاصيل هذا الفصل الذي يذكره بتفاصيل فرحه بمحبوبته، حيث قال:

(سيدتي

في الربيع حلمنا

وفي المحل حلمنا

بالربيع نمنا

تحت أفنان الصنوبر نمنا

في الشباك الخضر على البَابُنج

والأقحوان).[2]

يتحدث بلسان الربيع، ليفهم من يقرأ شعره أنه كالربيع فيما يعيشه، ربط مشاعره وعواطفه بالربيع، والحب يشبه الربيع، سعيد وجميل بخضرته وفواكهه وزهوره

---

[1]- جبرا إبراهيم جبرا: المجموعات الشعرية الكاملة، رياض الدين للكتب والنشر، ط1، 1990 م، ص25.

[2]- المصدر نفسه، ص54.

المختلفة التي تشارك جبرا إبراهيم جبرا رحلته في حبه للطبيعة، وعلاقته منها وما قدمه من جديد فيها لجماعة شعر.

يتحدث **جبرا** في قصيدته التي عنونها بـــ **(بيت من حجر)** عن حنينه لوطنه ولأرضه، أين فصل الصيف والليل يحكي ذكرياته، أين الطبيعة هي بيته وأصله وهو مشتاق يتذكر، فيقول:

(في ليالي بغداد الصائفة

في التلال الخضراء بيوت

من عنبر وياقوت

وبيتنا في رأس التل

حجر على حجر

أبيض في شمس الضحى

أخضر في ضوء القمر).[1]

يذكر **جبرا** بغداد وبيوتها حيث يربط بين الطبيعة والوطن، وليالي بغداد الصيفية، وتلال البيوت خضراء، حيث يبدو بيته الذي على التل صورة رائعة تتألق بين مفاتن الطبيعة، يكتسب ألوانها ويتلون بجمالها.

4.4. أنسي الحاج:

يعتبر **أنسي الحاج*** من الشعراء الفاعلين في جماعة شعر، وقد نشر الكثير من أعماله في **(مجلة شعر)**، وخاض في شعر الطبيعة بأسلوبه حيث قال:

---

[1]- جبرا إبراهيم جبرا: المجموعات الشعرية الكاملة، ص66.

* **أنسي الحاج:** ولد 27 يوليو 1937 م بلبنان، ساهم عام 1957م مع يوسف الخال وأدونيس في تأسيس مجلة شعر، وعام 1960 أصدر في منشوراتها ديوانه الأول "كن"، وهي أول مجموعة قصائد نثر في اللغة العربية. ينظر: فهيم صخرة: "قصيدة النثر بنيتها وإبدالاتها الفنية أنسي الحاج أنموذجا"، (رسالة ماستر)، جامعة محمد بوضياف، 2017 م، ص 86.

(كنت تصرخين بين الصنوبرات، يحمل السكون

رياح صوتك إلى حشائشي

كنت مستترا خلف الصنوبرات أتلقى صراخك

وأتضرع كي لا تربيني

كنت تصرخين بين الصنوبرات تعال يا حبيبي !

كنت أختبئ خلف الصنوبرات لئلا تريني

فأجيء إليك فتهربي).[1]

يستخدم الشاعر عناصر الطبيعة كلوازم تتكرر مع كل بيت، كان كل ما يحيط به هو **(الصنوبرات)**، تواجدها حوله يشعره بحبيبته وبحجبها عنه في نفس الوقت، حيث يتعلق الشاعر بلوازم من الطبيعة ترتبط في نفسه بمشاعر وعواطف تغلق وجدانه، فيخرجها في شعره عبر هذه اللوازم الطبيعية.

يقول كذلك في قصيدة "البيت العميق" :

(البيت والدخان يتعانقـــان والظل غـــائب، أبسط قامتـــي

على الشمس فأصبح من أشعتها، لا حاجة للزرع والنجدة

لا حاجة لعرق الهـــارب، لا حاجة للقرع للقرع).[2]

يذوب الشاعر في عناصر الطبيعة، ويلتحم معها في شعره، حيث يقول الشاعر: "أبسط قامتي على الشمس فأصبح من أشعتها" وكأنه امتداد لهذه الأشعة وطوله وقامته هو جزء من هذا الامتداد وهذا الذوبان في الطبيعة يبتعد مع وصف جماعة شعر إلى ما لا نهاية.

يضيف **أنسي الحاج** في نفس القصيدة من "البيت العميق" فيقول:

(ندفن اللحم ولا نثأر له

---

[1]- أنسي الحاج: الأعمال الشعرية الكاملة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ط)، (د.ت)، ص61.

[2]- المصدر نفسه، ص63.

الموج ضعيف، والريح

الموج لا يغرق البحر والريح فجوة).[1]

يرثي الشاعر وبأسلوبه السهل الممتنع حال البلاد العربية وما آلت إليه من أوضاع مزرية فيدعوهم بالجبناء وذلك بطريقة غير مباشرة "الموج ضعيف" ويتبع ذلك "والريح"، لكنه يفصل فيقول: (لا يغرق) يعني أنهم رغم وضعهم لا يغرقون، ويستمرون، وتبقى هذه الريح وهذا البحر فجوة أي أن المشكلة الأولى لا تزال قائمة، وبهذا يستخدم أنسي الحاج عناصر الطبيعة بشكل جديد كغيره من أعضاء جماعة شعر.

ويقول أنسي الحاج في قصيدة **(الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع):**

(أنا هو الشيطان

غلبتني الرقّة

اشتدت الغيوم وراء الأقفال والحجب انشقت

المطر يستسلم للأرض

غلبتني حبيبتي

أحبتني).[2]

يصف أنسي الحاج حالته الشعورية من خلال وجه الطبيعة، وتحكي صورة الطبيعة بصمتها ما بداخله من اضطراب عاطفي.

ويقول في قصيدته "رجولة":

(لا تديري ظهرك وتسيري، فتسير على أعقابك لهفتي

ابقي واقفة أمامي، أو اقعدي هنا على ركبتي إذا وليت وجهك

عني. أحسك تتدثرين رويداً

رويداً. كما في الهواء والجو يضمحل الباز – وهكذا

---

[1] – المصدر السابق، ص 38– 39.

[2] – أنسي الحاج: الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1994 م، ص22.

ابكي. وأنا لا أود أن أمزج ومعي بغير وجهك

هل تريدينني أشرب من اختفائك نوري كما يفعل القمر.

بالشمس ويبتهج)[1].

ترتبط صورة المرأة بالطبيعة عند الشاعر أنسي الحاج، حيث يذكرها من خلال صور الطبيعة المحفورة بخياله، فيجمع الاثنين في شعره.

أثرت الطبيعة الصامتة بشكل واضح على الشعر الحديث، وهو ما تجسد في نظرة التنظيمات الأدبية فيما بعد، لتكون هذه النظرة متباينة ومختلفة ومتطورة في آن واحد، حيث تناولت أهم عناصر الطبيعة الصامتة من حيث التأثير، وتعتبر جماعة شعر أكثر التنظيمات الأدبية استوعبا لهذا التأثير، وأول من أدخل التطور على الطبيعة في الشعر بشكل حداثي واضح ومستقل، شكلا ومضمونا.

[1]- أنسي الحاج: الأعمال الشعرية الكاملة، ص244.

الفصل الثاني:

"توظيف الطبيعة في شعر يوسف الخال"

1- الـطبـيـعـة بـوصفـهـا رمـزا.

2- الطبيعة بوصفها معادلا موضوعيا.

1- الطبيعة بوصفها رمزاً:

1.1. رمزية النار:

اتفق الشعراء على توظيف النار في كتاباتهم الشعرية، لكنهم اختلفوا في دلالتها ومضامينها، التي تحمل وتنقل عبرها معان أخرى، وتمثل اختلافات الأماكن والأزمنة والثقافات، سبب رئيسي في إختلاف الدلالات والسياقات، التي تجسدها النار عبر العصور المختلفة، **(فالنار من الأشياء الهامة طوال التاريخ في حياة الإنسان، لأن لها أثر كبير في حياة البشر؛ ولهذا يستخدم الشعراء النار كثيراً في شعرهم ويجعلونها رمزاً لأفكارهم).**[1] وفي قصائد **يوسف الخال** جاء توظيف **النار** فيها متعدد الدلالات، مرتبطاً بالحالة الشعورية التي تنتابه في كل قصيدة.

يقول في قصيدة (حوار مع الشيطان):

(الأمس هنا عليقة نار

والأرض حرام

فحذارك تقتربي)[2]

يصف الخال أرضه بـــ "عليقة النار"، التي تستحيل فيها الحياة، وينتشر فيها العذاب، وكأنه يستحضر جهنم، ليستدل بها على حال وطنه، فيحرم بها الأرض، وكأن الطبيعة الأم غاضبة على هذه الأرض، وهي تعذبها بسعيرها الصامت، يحذر الشاعر محبوبته من الاقتراب والحلول بما سماه الأرض الحرام.

ينطلق الخال في توظيفه للنار في شعره، من البعد العقابي الإلهي المعذب، الذي أخذه من الثقافات السالفة **(فالنار عندما تشتعل تستطيع أن تهدم كل شيء، فالعدمية أو الضياع من الأبعاد المخربة والمدمرة للنار، وبمكاننا القول أن نار جهنم هي خير**

---

[1]- عجينة محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ج1-2، ص263.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1979 م ، ص255.

شاهد، لتظهر البعد المخرب والمشوه للنار، حيث يتسع بعد النار المخربة، حتى يتخذ الجانب الشيطاني في الجحيم، فعندما نسمع لفظة النار فأول ما يتبادر للأذهان؛ هو نار جهنم وهولها وهذه النظرة قد انعكست في نتاج الكثير من الشعراء الذين لهم خلفية دينية)[1]. لطالما ارتبطت فكرة الجحيم والنار والعذاب بحلقة واحدة في جميع الأديان السماوية؛ الجحيم في الإسلام والمسيحية والمحرقة في اليهودية، وباعتبار أن يوسف الخال مسيحي فقد لجأ لدلالة العذاب والعقاب في توظيفه، وركز على الجانب السلبي من المدلول، يقول الخال في نفس القصيدة:

(فوق الصدر،

يحلم بالبحر وقد أغفى؟

قولي: أيصب الثلج على النار؟

يا للنار !).[2]

يجمع يوسف الخال، في نظرته لهذا العنصر الطبيعي الصامت، بين عواطفه المتأججة الداخلية، ونظرته الانفعالية الخارجية، وفي هذا السيّاق يميز **غاستون باشلار، (بين نارين داخلية وخارجية؛ تتمثل نار الداخل في مزيج من الأحاسيس الفيّاضة، التي تتصاعد من دواخل الشاعر؛ اللوعة والحرقة والحزن، وكل المشاعر أو الانفعالات المتوترة، التي تعكس أبعاد القلق الوجودي، أو المعاناة لإثبات الكينونة التاريخية الخاصة أو العامة، أما الخارجية فلها ظهورات وتجليات شتى، وتحققات متباينة، تتفاوت بين السلب والإيجاب).** [3] إن هذه النار لا تسمح لأحلام الخال بأن تتحقق، ولا

---

[1]- غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1984 م، ص 47.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية كاملة، ص 257.

[3]- غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ص 11.

تسمح لحرقته أن تبرد، لا يسقط الثلج على النار، إنهما ضدان لا يلتقيان في الواقع، ولا ينسجمان في الخيال.

تحمل النار في طياتها معنيان مختلفان ومتضادان، فكمالها من ضرّ في الواقع فلها نفع، وكما يقول باشلار: **(النار يمكنها أن تتقبل كلتا القيمتين المتضادتين، الخير والشر، تتألق في الفردوس وتستعر في الجحيم)**[1]. وهو الجحيم الذي تحدث عنه الخال وصفه بالبرود أحيانا، فقد يكون الجحيم مؤلما إلى درجة البرود، وقد يكون البرود في المشاعر والعواطف لا في الجسد.

يقول الخال في قصيدة (العابرون أيضا):

(ربما كان الجحيم بارداً
كالراحة التي تنال، هانئا
كجسد يموت، ليس كل جسد
يموت، مثلما
تموت رغبةٌ أيقظها انهيار ورق).[2]

تغيرت دلالة النار والجحيم في قصيدة الشاعر، أين مثل الجحيم رغبته التي وصفها بالبرود، فمن صفات النار أنها حارقة ملتهبة ومتأججة، والجحيم هو موطنها ومنبع استمرارها، فكيف لها أن تبرد فجأة، **(هكذا تتجمع كل هذه الأبعاد، لتحقق ماهية النار وسلطتها، وموقعها أو هويتها الحضارية في بحر الرموز المتوارية في ذاكرة الإنسان،**

---

[1]- المرجع السابق، ص 11.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 346.

وتلتمس اللغة تضاريسها الحقيقية، التي تهيئ صفاءها الأولي، وتفتح مجراها للحضور على نحو ضئيل).[1]

2.1. رمزية الريح:

استخدم الخال رمز الرياح في ديوانه الشعري المتناثر الأطراف، ربما لتناثر الدلالات الشعرية والرمزية والمعجمية المختلفة فيه، استخداما مختلفا وكثيف، فقد وجد فيه المزيد من الحرية لتعبيره وهو ما قدمته الرمزية للشاعر العربي المعاصر، حيث **(هيمنت الرموز الطبيعية على الشعر العربي المعاصر، خاصة الرياح والمطر والماء، فهي تتناغم فيما بينها لتخلق مناخا نفسيا وفكريا، يمكن من خلاله التأثير على القارئ، بشكل لا تستطيع اللغة العادية أن تجسده داخل النصوص الشعرية تجسيدا مكثفا وكاملا).**[2]

وقد وظف الشعراء الرمزيون؛ ومنهم يوسف الخال الرّياح في شعرهم بشكل لافت ومميز، **(فالريح رمز القوة والسلطان، ولكنها تدل على معنيين اثنين متناقضين، فهي تدل على الخصب والرزق والنصر والظفر، والبشارات إذا ساقت السحاب مثقلا بالمطر، وربما دلت على الآفات إذا كان دبورا)**[3]. يقول يوسف الخال في قصيدة، (الجذور):

(هنا الثمارُ بلحٌ وبرتقالٌ، وهناك
عنبٌ يعصرُه السُّقاةُ خمرةً،
وحيث يكثرُ الجرادُ لا ثمارَ بل حصًى

---

[1]- غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ص 11.

[2]- عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بين الشهادة والإستشهاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987 م، ص272.

[3]- عجينة محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ص 272.

وعبثًا نصيح: نحن كالرياحِ
حرَّةً تجيء من مكانها وحرةً تروح).[1]

تعتبر رمزية الرياح في هذه القصيدة، عن الحرية المضطربة التي لا تجد لها مستقرا ولا مهبطا ترتاح فيه، ينظر الخال إلى نفسه ويستخدم ضمير المتكلم(نحن) ، ليعبر بصيغة الجمع عن حال من هم ضائعون مثله، أمام حرية تشبه النفي، فالأرض سلبت وبقيت تسكنها الأرواح، أرواح تشبه الرياح، حرة لكنها مغتربة.

يُلبس الخال لفظة الريح الكثير من المعاني، فتعكس مواقفه المختلفة ومشاعره المتعددة والمضطربة، في صور متباينة، فقد يهدف الشاعر من إستخدام عناصر الطبيعة، إلى **(الدفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي أي الريح، من المدلول المعجمي المعروف إلى مستوى الرمز، ليعطي اللفظة دلالة شعورية خاصة بالشاعر؛ فالريح من المكونات الطبيعية التي تدل على الفعل والتغيير، وتختلف صور الريح بإختلاف قوتها ونتائجها، فتنقل من ريح هادئة إلى ريح عاصفة، ومن ريح جالبة للعشق والهوى إلى ريح مدمرة)**[2]. يقول يوسف الخال في قصيدة **(الرفاق):**

(أذكر كانوا حزمة من العصي
كل واحد
منهم شقّ في البحار
درب ثورةٍ، فجَّر ماءً
من مجامع الصخور.
فجأةً

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 207.

[2]- عاطي عبيات، يحيي معروف: استدعاء الرموز ودلالاتها في الشعر الفلسطيني المقاوم، (د.ط)، (د.ت)، ص 395.

قست عليهم الرياح، سقطوا،

تناثروا هنا، هناك، واحتموا

في ظلِّ غابةٍ من النخيل

آهٍ، هكذا تكسّروا)[1].

هدمت الرياح بدلالتها ما جمعه الزمن، حزمة العصي، قست هذه المرة فتناثرت متفرقة عن بعضها، فهل هي قوة الرياح؟ ، أم ضعف الرّزمة؟ ، أمام جعبة من الرموز وخلفيات مختلفة وكثيرة **ليوسف الخال**، يستحضر أمثلة معروفة مرتبطة بحال الأمة العربية، كحزمة العصي التي ترمز للوحدة، و أن قوة العرب لن تتحقق إلا بتوحدهم، وأن قوتهم في وحدتهم، لكن الرياح تأتي على الحزمة لتنثرها، ويصفها الخال بقوله: (هكذا تكسروا)، فيكسب الشاعر رمز الريح؛ دلالة القسوة والهدم والتشتت، فربما تكون هذه الرياح الاستعمار والعدوان الغربي، وربما تكون مؤامرة الوشاة والخونة.

اكتسبت رمزية الرياح بعدا جديدا، في النصوص الشعرية الحديثة والمعاصرة **(فلم تختلف كثيرا عما شاع من دلالة متوافق عليها، في اللاشعور الجمعي، غير أنّ بعض الشعراء قد اتخذ من الريح منحى رمزيا، للدلالة على توجهات فكرية أو فلسفية، فمنهم من إعتبر الريح رمزا للقمع والاستبداد، وسلب الحرية في محمولات أفكراهم السياسية، ومنهم من اعتبرها سلاحا مسلطا، على من يرتكبون الخطايا وفقا لتوجهاتهم الدينية، وآخرون اعتبروها رمزا للثورة على الأنظمة الديكتاتورية الظالمة، وفقا للمنطلقات الإنسانية، و من هنا فقد خرج رمز الريح وسيلة سريعة لنقل الأفكار الثورية، في وقت كانت الوسائل فيه تفقد).**[2] وهو ما أشار إليه الخال، عندما استحضر الظلم في جسد

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 339.

[2]- عاطف خلف سليمان العيايدة: "الرموز المحورية في شعر محمود درويش"، ص 102.

الريح، وذكر قمعها له فجاءت في صورة ظالمة مستبدة قاهرة يقول في قصيدة **(Mémento Mori)** :

(هو ذا الريح تعريني، تعرّي

جسدي، تلهب روحي

وصراخي بُحَّ في الغربة. آه)[1]

يقاسي الخال ظلم الرياح هذا المرة، في صورة جديدة محورها استبداد الرياح وظلمها وقهرها، إنّ الرياح هي الغربة المرة التي جردت الخال ما يرتديه وقامت بتعرية روحه وشعوره بالأمان، كيف لا وهو يعرف أنّ الأمان وطن.

لطالما تعلق الشعراء والأدباء، بتراثهم الثقافي وبحضارتهم القديمة العريقة، ولطالما آمنوا بأقوال أسلافهم وأساطيرهم، وبما أن **(لفظة الرّياح قد شاعت بوصفها دالا رمزيا في الأدبين الشعري والنثري بشكل لافت للنظر، فقد اتفق في المفهوم الجمعي، على أن الريح رمز للخراب والشتات والدمار والموت، فقد جاء في إعتقادات الأمم السابقة والشعوب القديمة أنّ الرياح آلهة حين تغضب على قوم ما تسلط عليهم أداتها التدميرية الفتاكة وهي الريح).**[2] فالثقافة الأسطورية لدى الخال تدعم نظرته إلى الرمز وإلى الرمزية، وهو ما مثله في قصيدة **(الحرية)**، يقول:

(وريح آشور كم سكبت بها الدمع؛

وغيبت في ثراها النفوسا

رافعا فوقها من المجد ملكا

يتحدى إذا تطل الشموسا).[3]

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 217.

[2]- محجز خضر عطية: "محمود درويش في خطبة الهندي الأحمر"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، مج 17، العدد 2، 2009 م، ص 104.

[3]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 104.

كنَّا الخال الرياح بمنطقة **(آشور)**[1]، بلاد الحضارة ومهبط الثقافات والتي شهدت صراعات كثيرة وبها يكتمل رمز الرياح، حيث حملت الرياح نفحة بلاد أشور، وألقت بالذكريات التي خلّدها التاريخ، في صمت تزور هذه الرياح رفات الحاضرة الأشورية، وتلقي بها في أشجان يوسف الخال، يستحضر بصمت الطبيعة التي تتكلم عبر الرياح تاريخ حضارة فلسطين وسوريا ولبنان. ويقول الخال في قصيدة (عودة أوديس):

(لريح الشمال هنا، يا أوديس

عبير أليف...

عبير حلا...

لنهتف إذن...

ونذبح قرابيننا، ونشدو، ونرو

وقائع أبطالنا

ونسرع، فلا تباغتنا الشمس

نعير الرياح).[2]

يوجه الخال حديثه لأوديس، يخاطب الأسطورة عن ريح الشمال، لطالما اقترن الشمال في معظم الثقافات بالفرج والحل والتقدم والإنفراج، والعثور على الطريق الصحيح، كما أن ريح الشمال عذبة منعشة، اختار الخال أوديس ليعكس أن ما يخوضه في وطنه ملحمة وما يكتبه في شعره ملحمة من نفس النوع لكنها شعرية، **(فقد تختلف**

---

[1]- آشور: بتشديد السين إقليم كبير متسع من آسيا وهي منطقة شديدة الخصب ذات أنهار وأهمها دجلة، ينظر: جميل أفندي نخلة المدور: بابل وأشور، دار المسيحية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1878 م، ص 252.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 333.

معاني الرياح بإختلاف الحاجات الدلالية، وتنوعها في النص ومن هنا يتفاعل رمز الريح في توظيفه مع سياقه لتوليد المعنى)[1].

3.1. رمزية المطر:

احتل المطر جانباً كبيراً من شعر رواد أهم التنظيمات الأدبية الحديثة والمعاصرة، لما له من نفس طويل في تحمل الدلالات الكثيفة، حيث **(استدعى الشاعر المعاصر رمز "المطر" الذي ضمّنه شعراؤنا دلالة الارتواء من ظمأ الحياة، والمطر يمد الكائن الحي بالحياة والرزق، ويبعث فيه التأمل والتفاؤل، فتوظيف المطر كرمز في الواقع، تعبير عن أمل الإنسان الذي لا يتحقق إلا بالعمل، أيضاً هو التغني بالمبادئ التي يؤمن بها الفرد، ويريد أن يلتزم بها وهو مصدر الراحة النفسية لأن فيه تنفيس عما علق بالقلب من جراحات ومتاعب ولفظة "المطر" تنتمي إلى حقل دلالي متعدد، وهذا يدل على فترة التصرف عند الشعراء، وتجاوز الدلالات الجاهزة في اللغة)**[2] يعتبر المطر رمز الحياة، وفي غيابه تتعقد الأمور، باعتباره من أهم رموزها، وهذا ما شغل الشعراء في اتخاذه منطلقاً رمزياً لخلفياتهم الرمزية، المحملة بالدلالات والمعاني الغير مباشرة والصريحة، يقول الخال في قصيدة **(السفر)** متحدثاً عن لذة تخيل الأمطار وسماع قصصها:

(ونحن نعشق السفر

أخبرنا الرعاة في جبالنا

عن جزر يغمرها المطر،

يغمرها الغمام والخزام والمطر،

---

[1]- حسين مهتدي: الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحي السماوي، (د.ط)، 1436 هـ، ص 201.

[2]- يوسفي دليلة: "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة"، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجيلاني اليابس، 2018 م، ص91.

عن جزر يسكنها الحضر).[1]

يتخيل الخال ما بوطنه من جمال، أيعقل أن يسمع الشاعر عن جمال وطنه الذي هو جزء منه؟، (أخبرنا) هكذا قال يوسف الخال، وكأنه لم يدرك هذا الجمال الذي لم يره، وإنما سمع عنه، في رمزية يحملها المطر، رمزية الجمال والحياة، كأن الشاعر بعيد جدا لرؤية هذا الجمال.

يسقط الخال ثنائية الجمال والحياة على لفظة المطر لتخرج من حقلها المعجمي وتسبح في بحر من الحقول الدلالية.

رغم ما تتضمنه لفظة المطر من علامات الحياة والخصب والنماء، وغيرها من علامات عاشت معها على طول الزمن، واكتسبتها عبر ثقافات مختلفة، اتفقت على أن المطر هو رمز الحياة والخير والبركة، لكن حاول **(بعض الشعراء الانزياح عن دلالة المطر، المتمثلة في الارتواء قصد الخصب والنماء إلى دلالة الطوفان الذي يعصف بالأشياء، وبالألوان وتضيع معه كل الاتجاهات، هذا البناء التقابلي للصورتين يجعل النص يتحرك ضمن ثنائية ضدية محورها المطر، الرمز الذي يحمل التعبير، بل يخل بين ما ينبغي أن يكون، وما هو كائن وتنمو الصورة، وتتطور لتبلغ قمة التعارض بين الموت والحياة)**[2]. وهو ما قد وظفه يوسف الخال في قصيدته التي تحمل عنوان **(الحديقة):**

(كنت أحب ينتهون بعد أن

ينتهي البناء: ظل ناقصاً

لا سور حوله،

سقف يقيه غيلة المطر.

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص234.

[2]- نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، ط1، 2003 م، ص110.

الرعد والبروق والمطر).[1]

يحمل رمز المطر في قصيدة **(الحديقة)** للخال، دلالة الضرر والأذية والاغتيال الغير مسبوق، فهو يغتال فجأة، فمن صاحب هذا الضرر؟ ومن ينوي الأذية لهذا الوطن، ومن يحميه من كيد من ينوي به الشر؟ والشر مبطن في طيات هذا المطر.

وقد يصل الاشتياق إلى المطر، إلى حد بعيد أين تتغير ملامح الطبيعة لتعبر في صمت عن حزنها، وشحوبها دونه، يقول يوسف الخال في قصيدة **(الرحيل):**

(وفي العطفات الأخيرة حيث

تغيب ويسقط خلفي الستار

سأنسى وجوه الحجارة، أنسى

حشائشها كرؤوس الإبر

تعلقت بالبرك الآسنات

يعلنهن وما من مطر).[2]

قد تفقد الصور الحياة بمجرد غياب المطر عنها، لا وجود لمواطن الحيوية في الوصف، فقد غاب الماء، البرك آسنة والحشائش حادة كرؤوس الإبر، لقد حملت لفظة المطر رمزية الحاجة والاحتياج، والشوق والابتعاد، والضرورة إن صح التعبير، فالطبيعة الصامتة تبوح عن حاجتها للمطر، بصورتها الجافة التي تنم عن قحط يتكلم أنه ما من مطر.

4.1. رمزية البحر:

يعتبر البحر محطة أخرى من محطات شحن الدلالات، عند يوسف الخال، فإلى جانب المواصفات التي يحملها البحر من غموض وقوة وجبروت وعظمة، فهو مهرب

---

[1] - يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص339-340.

[2] - المصدر نفسه، ص293.

العاشقين وسامع المتألمين، وعزاء المنطوين على أنفسهم، وهو نقطة فاصلة بين الكثير من الحالات الشعورية، لدى العديد من الشعراء وخاصة في العصر الحديث، **(فالبحر يثير في الغالب، صورة رمزية توحي بالقوة والعظمة والغموض، وهو من العناصر الطبيعية التي وردت بكثرة في الكتابات الإبداعية المعاصرة، واتخذت أبعاداً جمالية وإنسانية، ولكنه لم يتقوقع في مدلول واحد، وإنما ورد في سياقات مختلفة، وحمل دلالات متباينة، تبعا لتجربة كل شاعر ورؤياه الخاصة)**[1]. وقد استخدم الخال رمز البحر في مواضع كثيرة من قصائده وبدلالات مكثفة ومختلفة.

(بلادي رفات الجدود

وحيث يحل السجود

وبذل القدا

فكانت إلى الفتح صور

تشق عباب البحر

وكل عدى).[2]

وظف الخال رمزية البحر، وفق دلالة تعود على العظمة والقوة، ويفخر في ظل ذلك بأن بلاده قوية تشف البحار الصعبة الضبابية المجهولة، والبحر هنا يأتي بصورة القوة والغموض؛ **(فهو في الغالب صورة توحي بالقوة والعظمة والغموض)**[3] ، لذا تخدم هذه الدلالات الحالة الشعورية للخال اتجاه بلاده وإن لم يولد بها فهو يعتبرها موطناً له.

أصبح البحر موضع اهتمامه في الشعر الحديث والمعاصر، فقد **(اتخذ أبعاداً متعددة، بإعتباره مظهر من مظاهر جمال الطبيعة، ومنطلقاً إنسانياً في السفر والرحلات والتجارة والحروب، وأضفى عليه الشعراء المعاصرون صفات كثيرة: كالقوة والبعد**

---

[1]- رشيدة أغبال: "الرمز الشعري الطبيعي"، **مجلة علامات**، العدد26، ص150.

[2]- يوسف الخال، الأعمال الشعرية الكاملة، ص72-73.

[3]- يوسفي سهيلة: "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة"، ص 88.

والإنتقال، والعذر والضياع والغربة، والبحث عن المصير).[1] وفي موضع آخر يجعل الخال من البحر حمالاً لأحزانه في سعته ولا محدوديته، كأن حزنه كالبحر بدون حدود واضحة للناضر؛ يقول في قصيدة **(الحرية):**

(كل فجر أروده أُفرش الأرض

ضحايا وأفجر الدمع بحراً

فكأني وجدت كي أجتلي كنهي)[2].

يبكي الخال حريته المسلوبة، ويسكب الدمع لأجلها، فقد وجد الخال حسب قوله ليعذب مسلوبا الحرية، وما دمعه إلا دليل على حرقته، ورمزية البحر تتوافق وحزن الخال، فلا مجال لمقارنة الدمع بالبحر، إلا إذا فاق الحزن كل تصور.

فرض البحر ومنذ الأزل مكانته في قلوب الناس وليس هذا حكراً فقط على الشعراء، فما إن يلمس الشاعر موضوع البحر حتى يتفاعل معه القارئ، **(البحر يحتل مكانة مرموقة في أنفسنا، والعديد منا يلجأ إليه ليشتكي همومه)**[3]، وهو ما فعله الخال في قصيدته الموسومة بـــ **(الدعاء)**، حيث قال فيها:

(أيها البحر، أيها الأمل البحرُ

ترفق بنا، ترفق، ترفق

ما أدرنا وجوهنا عنك إلا

بعد ما مزق السياط ضحيانا).[4]

---

[1]- عاطف خلف سليمان العيايدة: "الرموز المحورية في شعر محمود درويش"، ص89.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص97.

[3]- منير عوض حسين المقيد:" رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر"، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، 2017 م، ص45.

[4]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص288.

فكأن الشاعر يناجي البحر، ويؤلهه ويعطيه نوعاً من القداسة، ويخاطبه كأنه يسمع شكواه، فالبحر رمز للأمل ولتغيير المستقبل الحزين في هذه القصيدة.

يكتسب البحر كرمز معان دلالية مختلفة، وفي سياقات متعددة، **(فالبحر من الرموز الطبيعية، التي تتميز بالتغير والتحول والحيوية، وذلك وفقاً لاختلافات الحقب التاريخية، والاجتماعية المشكلة لدلالة هذا الرمز، كما ترجع التعددية الدلالية للبحر إلى الإعتباطية غير المحدودة، والفوضوية في توجيه الإحالات الدلالية).**[1] يقول يوسف الخال في قصيدة **(الحوار الأزلي):**

(ضربنا جبهة الفجر بأيدينا، وفجرنا

من الصخرة ماء يجرف الرّمل

إلى البحر...).[2]

يحمل رمز البحر دلالة المنتهى في هذه القصيدة، فهو خاتمة القوة وآخر القصة، والكل يبدأ منه ويعود إليه، إن الأزل أو الزمن، يجرف الجميع الرمل والعمر ولكنه في نظر الخال ينتظر أن تجرف إليه هذه الأمور بفعل قوته وقوة من تحدى المستحيل، وضرب جبهة الفجر وفجر الماء من الصخرة وجرف الرمل إلى البحر.

إن نظرة الشعراء للبحر كرمز تختلف وذلك **(حسب رؤيتهم له، فمنهم من كان ينظر إليه بإعتباره مألوفاً، ومن يرى فيه صديقاً يبث إليه أحزانه، ومنهم من يرى فيه العدو الذي لا يرحم، فيخافون ظلماته، ويهابون أهواله التي لا تفرق بين الصديق والعدو)**[3].

فالخال يراه صديقاً يحبه ويحترمه وله في قلبه مكانة قريبة مميزة، يقول في قصيدة **(السفر):**

(وفي النهار نهبط المرافئ الأمان

---

[1]- عاطف خلف سليمان العيايدة: "الرموز المحورية في شعر محمود درويش"، ص87.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 221-222.

[3]- منير عوض حسين المقيد: "رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر"، ص 27.

والمراكب الناشرة الشراع للسَّفر

نهتف يا بحرنا الحبيب، يا

القريب كالجفون من عيوننا

نجي وحدنا)[1].

ينظر يوسف الخال إلى البحر من خلال هذه القصيدة، بصورة الصديق الحبيب، الذي يحتل مكانة قريبة وصفها الشاعر بحال الجفون من العيون في الإنسان، لعل هذا البحر قد يرمز للصديق، ولربما يفكر الخال بوطنه وبالأمان الذي يحد بلاده، فهو يشعر بالأمان في حضرته ويكن المشاعر له.

وفي موقف آخر ينظر الخال إلى البحر بعين حسرة وحزن تناقض نظرته السابقة، حين يجسد البحر بإضطرابه، حالة الشاعر من حال وطنه يقول في قصيدة **(للعروق وحدها أن تنطق):**

(السهل يتسلق الجبل،

الجبل يرتفع إلى البحر

البحر غابة من الجل والولادة).[2]

وكأن الخال يجعل من البحر ملحمة ليخلق جيل جديد، جيل لا يعرف البحر برمزيته الحزينة والعدوانية القاسية، قد يكون البحر متشعباً كغابة، قد يكون أوجاع حبل وولادة لكنه قد يحمل بين أمواجه أملاً جديداً، نلمسه بين سطور قصيدة الخال.

وفي مكان وزمان مختلف يجعل الخال رمزية البحر تتكثف وتتخلل كل شعره، فيحترق البحر وكله ماء، وما أشرف الاحتراق على حق ومن أجل الحرية، يقول الخال في قصيدة **(القصيدة الطويلة):**

---

[1] - يوسف الخال: الأعمال الكاملة، ص232.

[2] - المصدر نفسه، ص 271.

(الهزيمة لواء مرفوع، وأوجاع المخاض بحار

تحترق)[1].

يربط الخال بين الأوجاع والولادة والبحر، يبدو أن البحر هو ساحة كل شيء، وهو الشاهد الأول والأخير لكل شيء، تبدأ قصص الخال به وتنتهي عليه، فيخلق الخال من رمز البحر، رمزا خاصاً به وحده.

5.1. رمزية النور:

يعتبر النور أحد أهم رموز الطبيعة عظمة و جمالا، وقد نظر الإنسان إليه منذ القديم بتفاؤل واطمئنان، فلنفعه في حياة الإنسان مواطن كثيرة ومختلفة، فتعلق به الشعراء كقشة في نهر من الرموز، ووجدوا فيه ضالتهم وهي الأمل، **(إن النّور والضياء محبوب عند جميع النّاس وكل الثقافات، لأنه يساعد الإنسان أن يميز الطريق من البئر، والحسن من القبح، ولهذا جاء في النصوص الأدبية والدينية رمزا للخير والعطاء والسعادة والحرية)**[2]. ونجد أن النور يحضر كثيرا في الدّيانة المسيحية، ممّا أثّر على الأدباء والشعراء المنتمين إلى هذه الديانة، يقول الخال في قصيدة **(يا قمر)**:

(أنـــا في دنياي كالليل، تُرى

هل يعي نورك في دنياي هل؟

لا أبـــالي: غمرتنـــي ظلمـــة

أم أسى الدنيا على قلبي أطلّ؟

إن فـــي قلبـــي للحـــب رؤىً

هي للنـــور انعكاس ومطـــل)[3].

---

[1]- المصدر السابق، ص292.

[2]- نادر محمدي، صادق فتحي دهكري: "رمز الطبيعة ودلالته في شعر سليمان العيسى (ديوان أنا والقدس)"، **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، العدد 25، تشرين الأول 2017، ص 301.

[3]- يوسف الخال الأعمال الشعرية الكاملة، ص 57.

يرمز النور في قصيدة الخال إلى الأمل، الذي تجسد في عزيز قريب إليه، لا نعلم من يقصد به، لكننا نكتفي أن نشعر أنه يائس، ويحتاج بصيص هذا النور، الذي ينتظره وينتظر الفرج وراءه.

6.1. رمزية الشتاء:

تعلم الإنسان كيفية التأقلم مع متغيرات الطبيعة والتعايش معها، وكان لزاما أن تؤثر هذه المتغيرات على حياته وأسلوب عيشه، من الجانبين النفسي والمعنوي، وتعتبر فصول السنة الأربعة الأكثر أسراً وتأثيرا على نظام الحياة، فخاض الإنسان معها تجربة الراحة والإستمتاع، والقسوة والإستكان والحزن والفرح، لكن الشتاء كانت له حصة الأسد في هذه التجربة، فكان الأقسى بينهم، **(فالشتاء أبرد فصول السنة، حيث تُملَؤُ الطبيعة بالثلج والبرودة في هذا الفصل، وتواجه الحياة بعضاً من المشاكل والصعوبات، ويغطي الثلج والجليد صعيد الأرض، ويستخدم الشعراء هذا الفصل في شعرهم استعمالا رمزيا ويعطونه دلالات جديدة غير دلالته المعجمية وفقا لما يفعل في الطبيعة والحياة من التأثيرات)**[1]. يقول يوسف الخال مستحضرا رمز الشتاء في قصيدة **(العابرون)**:

(الدار حرمة على الجوار، حرّة
للعـــابرين، فـــي السيـــاج ثغرة
فتحـــها الشتـــاء، كـــان قاسيـــا)[2].

اكتسب الشتاء بين أيدي الشعراء في العصر الحديث، رمزية القسوة محدثا الألم، شتاء الخال قاس في قصيدته، وقاس في نفسه، يحمل الخال هذا الرّمز، طيات الظلم

---

[1] - نادر محمدي، صادق فتحي دهكري: "رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري"، **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، العدد 35، نيسان 2018، ص 169.

[2] - يوسف الخال الأعمال الشعرية الكاملة، ص 341.

والقسوة، فهو رمز –في بادئ الأمر– للظلم ثم يصبح رمزا للقسوة. يقول يوسف الخال في قصيدة **(الجذور)**:

(فمن يجيب هذه الجذور عن مصيرها ؟

يحضنها في زمن الخريف ؟ يدفع عنها

قـــــسـوة الـشـتـاء يـا تـــرى)[1].

تبقى رمزية القسوة ترافق الشتاء في قصائد الخال، فوحده الخال يعرف من هو الشتاء؛ لكنه سيمح لنا أن نعرف أنّه قاس ومخيف وظالم ومستبد، من يحمي الجذور من قسوة الشتاء؟ تبدو الجذور في القصيدة طيفا لوطنه، ويبدو الشتاء حلمها المزعج الذي لم تحمله هي وإنما حلم به الخال، ليصبح هاجسه القاسي في رمزية تحافظ على نفس الدلالة.

7.1. رمزية الربيع:

كما سبق وتعرضنا لأهمية فصول السنة وتأثيرها على حياة الإنسان وأسلفنا حديثا عن الشتاء كرمز للقسوة، نتناول في هذه الجزئية فصل الربيع، الذي عادة ما يقترن بالفرح، والسرور والبهجة والجانب المشرق من الحياة، وكما فعل الشعراء بفصل الشتاء وحملوه دلالات مختلفة، فالحال سيان مع فصل الربيع، لكن غالبا ما تكون الدّلالات مستقرة على السعادة والفرح والبهجة **(وللربيع عند الشعراء منزلة رفيعة، إذ أن الربيع يوحي لهم ببدائع التصوير والتعابير، والطبيعة في الربيع تبلغ جمالها وذروتها من الفتنة، لذلك تحسب الربيع رأسا للفصول المهمة التي فيها أحاسيس**

[1]– المصدر السابق، ص 207.

مرهفة، وقد اهتم الشعراء بالربيع اهتماما كبيرا على مدى العصور الأدبية)[1]. يقول يوسف الخال في قصيدته **(العمر):**

(تزيح موجة الصقيع عن وجوهنا
نحكي لهـــا حـــكايـــة الربـــيـــع
كـــيـــف يـــبـــســـــم الـــهـــواء
تنشد الطيور، كيف يرقص الشجر
وكيـــف تفتح النـــواة في الثرى
عـــروقـــهـــا ويعقـــد الثـــمـــر)[2].

يقدم الخال رمز الربيع، بصورته المألوفة التي تليق به، لربما كان الربيع بعيدا عن فضاء الخال ببهجته وسروره، لكنه يحكي حكاية تستحضر الأشياء الغائبة، الربيع غائب عنه لكنه حاضر في ذاكرته، إنه مشتاق يتذوق حلاوة الربيع في تمتمة قصائده، رسم بريشته منظر الثمر في قلب الطبيعة، يخلد اللوحة في غياهب الذاكرة، لأنها ساحرة تتحول اللوحة إلى قصيدة، وتتجول القصيدة إلى يوسف الخال. يقول كذلك في قصيدته الموسومة بـــ **(الموعد الضائع):**

(تسائلنـــي أين لون الربيـــع
على وجنتيك، وأين الضحى)[3].

للربيع لون في قاموس الخال، كما له لون على وجهه، اللّون ليس تورد الخدين، وإنما لون الحياة فيهما، ذهب ذلك اللون من وجهه كما ذهب الربيع، ولم يقل الخال "تسألني" بل قال "تسائلني".

---

[1]- دحمان خليفة بشار: الربيع ودوره في الأدب العباسي، موقع ديوان العرب، www.diwanalarab.com ، (الأحد 13 فبراير 2011)، (2019/06/17)، (6 :21 am)، ص 1.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 321.

[3]- المصدر نفسه، ص 67.

إن لطف الربيع ينتقل بدوره إلى القصيدة لكسبها جماله.

8.1. رمزية الخريف:

يمثل الخريف الحلقة الأضعف في فصول السنة، والمظهر الحزين لقصائد الشعراء، والانتكاسة المفاجأة لحلقة الكتاب، فجاء رمز الخريف مقترنا بالحزن والكآبة واليأس وفقدان الأمل. يقول الخال في قصيدة **(العمر)**:

(نحكي لها حكاية الخريف

حين تنحني الظلال،

والمساء يستطيل، ثم بغتة

تلوح نجمة أو يسطع القمر)[1].

يروي الخال حال الخريف ومظاهره، ويصف حلوله الفريد، في صورة مميزة تعكس تأثره به، تأثرٌ يغمره الهدوء من القادم، أمام انحناء الظلال، واستطاله الأمسيات، لموقف الخال من الخريف بقية...

يقول الخال في نفس القصيدة:

(في أول الشتـــاء كنت ناقمـــا

على الخريف : غزّ مخلبا هنا

هـــــنـــــاك دون رأفـــــة

بـــأصـــــغر الـــغـــصـــــون)[2].

يترك الخريف آثاره في نفس الخال فلا ينسى، ويخلّفه مجروحاً بأصغر الغصون، ويحدث شرخا في مشاعره، ويولد نقماً في ذاكرته، إنّه الخريف في قصيدة الخال.

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 321.

[2]- المرجع نفسه، ص 335.

9.1. رمزية الفجر:

ارتبط الفجر في كامل الثقافات باليوم الموعود والأمل المنتظر والحياة الجديدة، وكانت له صلة أكثر بالديانة الإسلامية، وله مع الشعراء قصص تروي أملهم، الذي يظهر مع بزوغ الفجر دائما، حتى أنّ افتتاحيات الأفلام السينمائية، كانت تبدأ ببزوغ الفجر وتنتهي بها، إن الفجر هو وقت ساحر ومميز عن غيره من الأوقات **(فهو وقت انكشاف ظلمة الليل عن نور الصبح قبيل شروق الشمس، وهو اسم سورة من القرآن، بالإضافة إلى جماله فللفجر أهمية كبيرة عند المسلمين، لأنه يتعلق بوقت العبادة، يستخدم الفجر رمزا في النصوص الأدبية والدينية، ويحمل دلالات غير معجمية مختلفة، وهو في كل الثقافات والحضارات رمز الوعي المفرح في النور المنعكس)**[1].

يقول الخال في قصيدة **(فراق)**:

(أنـــالك فجر أطـــلّ

وأدعيـــة تستجـــاب

وعهد سخي الشباب

يـــــضـــــم الأزل)[2].

يمثل الخال نفسه للفجر، الذي تنتظره هذه الأرض؛ وبما أنّ الفجر يُعرف على أنه موعد العبادة الأول وساعة الاستجابة الأكثر، فهو رمز للتغيير وموعد له.

10.1. رمزية الليل:

اكتسب الليل دلالات مختلفة عبر الزمن، وبين أقلام الشعراء تلون كل مرة بدلالة تختلف عن التي قبلها، فالليل جزء من حياة الإنسان وجانب آخر لها، وهو ما انطبق حاله في الأدب، فنحن **(نشاهد عند القدماء، أن الشعراء يصفونه في آثارهم، ويتكلمون**

---

[1]- نادر محمدي ، صادق فتحي دهكردي: "رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري"، ص 175.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 48.

عن ميزاته، ويحزنون منه بسبب الابتعاد عن المعشوق، وينتظرون قدومه مع غروب الشمس، ولكن في الأدب المعاصر والمقاوم، يستعمل في دلالات جديدة غير معجمية، فهو يدل على المصائب والمشاكل، والمسائل السلبية كالظلم والاحتلال، والغضب والفقر والجهل)[1]. إن الليل طويل على الشعراء مظلم على المبدعين، يطول الليل على القلوب التي تتألم، وعلى القلوب التي تظلم، والتي تتلقى الشكوك ما بعد منتصف الليل. يقول ويسف الخال في قصيدة **(انتظار):**

(الليل لا يطول يا حبيبتي

الليل في احتضار

الليل لا يطول يا حبيبتي

ما دمت في انتظار

الليل البارحة انهار على وجهي

أصبحت دخان)[2].

11.1. رمزية الصباح:

وظف الصباح في كثير من الأعمال الأدبية والشعرية، وحظر بقوة في القصائد العربية خاصة المغناة منها، إن للصباح حضوره القوي ووقعه الآسر مع ساعات النهار الأولى، **(فالصباح هو أول النهار، ووقت رؤية الشمس وبزوغه، ووقت ذهاب الليل والظلمة، ونشر النور الجميل في الطبيعة والحياة، إن الصباح هو رمز الحياة الجدية وزمن الثقة بالنفس والآخرين، يوظف الأدباء والشعراء الصباح كثيراً في آثارهم رمزاً**

---

[1]- نادر محمدي، صادق فتحي دهكردي: "رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلد الحيدري"، ص165.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص253-254.

للمفاهيم الإيجابية والجميلة كالحرية والسعادة والعلم والوعي)[1]. يوظف الخال الصباح في شعره ويقول في قصيدة (إلى وردة):

(حملت إليك أنداء الصباح

وأشواق الربيع إلى البواح)[2].

نلمس النشاط في قصيدة الخال، ورغبته في قول الكثير يشبه في ذلك صباحاً ندياً مفعماً بالحيوية، خاصة إذا كان صباحاً ليوم من فصل الربيع.

12.1. رمزية الماء :

كان ولم يزل الماء هو سبب النجاة الأول وسر الحياة، وكما وضعه سرَّ الحياة في الماء، فقد اكتسب بحبر الشعراء، رمزية النقاء والصفاء، وورد في موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، الحديث عن الماء وأسراره **(فهو سبب الحياة وأصلها، ولا حي يقدر أن يعيش ويواصل حياته بدونه، كل مخلوق حي من النبات والحيوانات الحية، وبكتلته التي تحتمل التشكل في جميع الأشكال فهو رمز من الرموز البشرية الحبلى بالدلالات)**[3]. يقول الخال في **(صلاة في هيكل)**:

(عيناك، جسدك كله طفل يسبح في الماء

أحب الطفل والماء، المـــاء والطفـــل)[4].

ربط الخال في هذه القصيدة بين الطفل والماء، وكرر ذلك بقوله: "الطفل والماء"، إن الطفل له معاني كثيرة حمَّل بها في الشعر الحديث، ومن بينها النقاء والصفاء، اللذان

---

[1]- نادر محمدي، صادق فتحي دهكردي: "رمز الطبيعة ودلالته في شعر سليمان العيسى (ديوان أنا والقدس)"، ص175.

[2]- يوسف الخال: المجموعة الشعرية الكاملة، ص441.

[3]- عجينة محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1994م،ص 202.

[4]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص268.

تجسدا في براءة الطفل ونقائه، الطفل كالماء نقي والماء كالطفل بريء، هكذا أراد الخال لصورة محبوبته، أن تكون بريئة ونقية.

13.1. رمزية الظلام:

شكل الظلام هاجساً للأدباء والشعراء منذ القديم، وهو ما شهده الشعر بشكل خاص، واكتسب مع الوقت دلالات مختلفة تعبر عن نفسية الشاعر وخوفه وأرقه، وموقفه من الحياة، **(فالإنسان يخاف من الظلمة، ولا يقدر أن يشاهد الأشياء ويواصل طريقه، محايداً لا يعتني بما يشاهد من السلبيات والإيجابية منها، ولهذا السبب تستخدم الظلمة في النصوص الأدبية والدينية بمعاني سلبية)**[1]. يقول يوسف الخال في قصيدة (الدارة السوداء):

(آه كانت كائناً يملأ جفنيه الظلام

أبكماً كالجدث المغلق، مشلولاً، كسيحاً)[2].

الظلمة هي نقطة ضياع الشاعر في قصيدته، وهو يشكو ضياع الرؤية ضياع الطريق، التّيه الذي يشل الحركة، ويشل القلم، فتصبح القصيدة عرجاء في معانيها، يتيمة في مقاصدها، تحكي ارتباك الشاعر وضعفه الغير مقصود.

14.1. رمزية الثمر:

يخوض الأدباء والشعراء في مجالات كثيرة ومتعددة، تخلق في الطبيعة، ولا يستثنون منها شيئا، وفي مجال الرمزية يعتبر الثمر، حديث الأزل وقصة الإنسان، خاصة وحكاية الثمرة المحرمة التي أخرجت آدم وحواء من الجنة، لذا فقد لمست الخطيئة والعقاب جانباً من رمزية الثمر رغم نفعه للإنسان، (وقد أخذت الثمرة في

---

[1]- نادر محمدي، صادق فتحي دهكردي: "رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري"، ص171.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص199.

الأدب والثقافة دلالات رمزية مختلفة، فهي رمز الكثرة ومبدأ الوجود ومصدره، ورغبة إلى الهوى ورغبة إلى الخلود ورمز السعادة)[1]. يقول يوسف الخال في قصيدة(ثمر):

(ثمر يـــا طيبـــة، فجـــرفي
أضلعي خمراً واجري كوثرا
طعمه أشهى من الطيب على
مضجع الحب، وأعنى عنبرا
يبدع اللذة، فالعيش سدىً
حونه والعمر تيه وشدى
ثم، ياطيبه، لو كان لي
أطأ النجم وأحتل الذرى)[2].

يجعل الخال من الثمر رمزية للطيب الطبيعة، والاستمتاع بها بخيراتها رمزية لطيب الطبيعة، والإستمتاع بها وخيراتها، ويروي حال نفسه معه، فيستحضر صور اللّذة متتابعة، فيحدث في قلبه شغف، ويوقع في نفسه البهجة، لبرما ينظر الخال إلى ثمر وطنه، ويكسبه التعجيز دون غيره، يأتي وصفه له مبهرا ومستفزا، هل ثمار أوطاننا بهذه اللذة كذلك ؟ ،أم هي الوطنية تجعل لكل شاهد ذوقاً ؟

15.1. رمزية الأرض:

يعرف الإنسان أنّ الأرض هي مستقرة الوحيد الأبدي، وهي سر خلقه ومبدأه ومنتهاه، وشاهد حياته الوحيد، **(فالأرض تطلق على الكوكب الذي يعيش فيه الإنسان وهو ما يقابل السماء)**[3]. وحملت الأرض منذ الأزل برمزية الخلود والبقاء، ثم تطورت

---

[1]- نادر محمدي، صدار فتحي دهكردي:" رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري" ، ص 174.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص52.

[3]- حسن عز الدين الجمل: مخطوط الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة لكلمات القرآن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الرياض، (د.ط)، 2003 م، ص 74.

هذه الرمزية، لتعلن في العصر الحديث عن الهوية والحرية، وهو ما يؤكده عاطف العيايدة بقوله: **(إنّ إطلاعنا على نماذج من الشعر العربي – قديمه وحديثه – يثبت لنا أنّ الشعراء؛ قد التحموا بالأرض إلى درجة وصلت حدّ العشق، والهيام الذي يؤدي بصاحبه إلى الموت، فهي بالنسبة لهم مهد الولادة وموطن الصبا، والتشبث بها متأصل في النفوس، ولأنها حاضرة الوجود والحياة والبقاء، فمن الطبيعي الدفاع عنها، الوقوف في وجه المعتدي الذي يسعى إلى سلبها، وطرد أهلها الأصلاء والشرعيين منها)**[1].

يخوض يوسف الخال في هذه الجزئية من خلال قصيدته الموسومة بـــ **(هذه الأرض لي):**

(هذه الأرض لي وهذا الفضاء

ما تراني ملكت ما لا أشـــاء).[2]

التملك هو من صفة الإنسان المتجذرة في شخصيته، لكن تلك الأرض شيء آخر، فعندما يُخلق الإنسان على الأرض، يتولد بينهما رابط خفي، كالحبل السري بين الأم ووليدها، فهو ينتمي إليها وهي تنتمي إليه؛ "هذه الأرض لي" أهي الشراسة في الدفاع عن الملكية، أم هي الوطنية والإنتماء اللاشعوري للوطن؟، يطيل الخال في استخدام هذه العبارة، طوال القصيدة، ويكررها لتصبح لازمة غرضها التأكيد على معنيين لنفس المدار، فهو يعلن عبرها أنه جزء منها، وهو الذي يملكها، ويحتكرها لنفسه، كأنها لم تخلق لغيره، يقول الخال في قصيدة **(الحرية)**، مركزا على قضية الخلود:

(من يطلب الخلود على الأرض

كمـــن يفرغ البحـــار بكـــأس)[3].

---

[1]- عاطف سليمان العيايدة: " الرموز المحورية في شعر محمود درويش"، (أطروحة دكتوراه)، جامعة مؤتة، 2015، ص 71.

[2]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 91.

[3]- المصدر نفسه: ص 102.

16.1. رمزية الشمس:

تعد الشمس ظاهرة فنية ورمزية وأسطورية في الثقافة الإنسانية، ولها في مجمل المرجعيات الفلسفية لأمهات الكتب العربية النقدية منها والأدبية إرث كبير، فالشمس كدلالة معجمية هي: **(الكوكب المشتعل الذي يمد الأرض بالضوء والحرارة، والجمع شموس)**[1]. ولها شق عظيم في المقدسات الدينية التي عبدها الإنسان القديم، **(وللشمس أكثر من دلالة مثيولوجية، وطوباوية، حيث تبدو بنظائرها المقدسة في الديانات القديمة)**[2]. فالإنسان في عصور خلت كان خاضعا لمظاهر الطبيعة الأكثر قوة وتأثيرا فقدّسها وحاول التقرب منها، وذلك استنادا لمجموعة من الأفكار، تعلقت برمزيات هذه الظواهر، فالشمس تنتمي إلى الكواكب، ومن صفات هذه الكواكب أنها سامية عن الأرض، **(فهي ترمز إلى السمو، وترتبط بالعلو أو التطلع أو الجمال أو السلطة، أو بسلوكيات إنسانية سامية)**[3]. وهو ما استحضره يوسف الخال في قصيدة **(حيرة)**:

(مالي أذر النفــس فــي
مــوطــنــها وأنــثــر
وقبلتي الشمس، ومرمى
نــاظــري الــقــمــر)[4].

يوظف الخال الشمس في قصيدته، كرمز أدبي يستند إلى سياقه المألوف، المتمثل في السلوك الإنساني السامي، الذي يرى في الشمس تفردا وسمو ورفعة، فلم تختلف النظرة القديمة، وأضحت موروثا حتى في الساحات الأدبية الحديثة للشعر، فجاء حديثه

---

[1]- كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي وإجراءاته ومنهاجه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000 م، ص 467.

[2]- عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، دار ضفاء لنشر والتوزيع، عمان، 1998 م، ص 85.

[3]- صالح حوامرية: "صورة المرأة في شعر الطبيعة بين ابن زيدون وابن خفاجة"، (رسالة ماجستير)، جامعة تبسة، 2012 م، ص 174.

[4]- المصدر نفسه، ص 35.

كعتاب لنفسه عن تركه القدوة، التي فضّل أن يسميها القبلة، ويترك لنفسه أن تتحكم به.

يقول الخال في قصيدة **(انتظار)**:

(ذاب الثلج

فحذار، فحذاريك ذاب الثلج

والذئب تروّعه الشّمس)[1].

يبدو من خلال قصيدة الخال، أن نور الشّمس أو الشمس في حد ذاتها، مقصلة لجلاء الحقائق وتعرية المستور، فهل حقا يخاف الذئب من الشمس؟، أورد الخال تبَاعاً رسالة قد تفهم من خلال الرموز المتتابعة والمتناقضة، وإذا أردنا أن نفك هذه الرموز التي تحكيها الطبيعة ، يجب أن نتقبل صمتها، ونعايشها بقوانينها هي وموروثنا الإنساني الأزليّين فضوء الشمس يذيب الثلج، ويأتي تحذير الخال ليثير الشكوك والأسئلة، فلم يأتي التحذير إن كان ما غلّفه الثلج قبل أن يذوب لا يدعو للريبة؟ ، الشمس نور الحقائق ووهج لا يترافق مع الحيلة، وحتى لا نُقَول الشاعر ما لم يقله، أين تكن هذه الشمس عند الخال فقد حمّلها رمزية النقاء والرفعة والسمو والقدرة.

2-الطبيعة بوصفها معادلا موضوعياً:

قام الشاعر **يوسف الخال (بدور فعال في الحركة الثقافية في لبنان بشكل عام، وفي الحركة الشعرية بشكل خاص، من خلال دعوته لتجديد الشعر العربي، واعتمد الخال في ذلك على نموذج الشعر الغربي من حيث الشكل والمضمون)**[2]، حيث تأثر بالثقافة الإنجليزية التي اكتسبها، والبيئة الأمريكية التي عاش بها، ناقلاً إياها إلى المسار العربي، الأدبي والنقدي، وفي سعيه إلى التجديد ترك **"القصيدة العمودية"** وتوجه إلى

---

[1]- المصدر السابق، ص 256.

[2]- منى علاّم: "عناصر تحديث النص الشعري في مجلة شعر"،(أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، 2006 م، ص38.

"**شعر التفعيلة**" وكتب فيها ما يبحث به عن نفسه، ثم عن واقعه لكنه لم يكتفِ بذلك وتوجه إلى "قصيدة النثر"، أين وجد مجالاً أوسع ليعلن عن أفق جديد للحداثة.

أكد **عبد الواحد لؤلؤة** أن **(شعراء مجلة شعر اللبنانية – وأهمهم يوسف الخال– قد تأثروا بأعمال الناقد والشاعر الإنجليزي إليوت حيث نظروا إليه بوصفه أحد الآباء الروحيين لحركة الحداثة العربية)**[1]، فقد انعكس هذا التأثير على أعمالهم وأساليبهم وكتابتهم الشعرية.

إن أهم فكرة تأثر بها يوسف الخال، وأخذها عن إليوت، هي فكرة **(المعادل الموضوعي)**، التي جاءت **(كرد فعل من قبل إليوت ومجموعة الجيل الغاضب في إنجلترا، بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المجموعة التي عبرت عن نفسها من خلال اعتناقها لأفكار ورؤى جديدة لم تكن الساحة الأدبية في إنجلترا، أو المنطقة الأوروبية قد عرفتها، وذلك نتيجة الحرب العالمية، التي ألقت بظلالها القاتمة على تفكير ووجدان المثقفين ومن هنا نظر إليوت لفكرة المعادل الموضوعي، الذي دعا إليه ليكون البديل، عن الرؤية الرومانطيقية للشعر، بعده تعبيراً عن العواطف والإنفعالات بصورة مباشرة)**[2]. وظهرت هذه الفكرة في شعر يوسف الخال مع قصيدة النثر وعالمه التحديثي الجديد، وقد ارتأيت أن أسلط الضوء في بحثي على هذا الجانب من تأثره، وفق المصطلحات النقدية الإنجليزية التي تشبع بها ذهنه، وعبأت بها طيات وزوايا مجلة شعر التي يترأسها، فكون الخال يعيش في شعره، نوع من إثبات الحقائق، والغوص في الوجودية، والبحث عن أجوبة لأسئلة عميقة في الإنسانية، فمآله الوحيد هو الطبيعة التي تجيب بصمتها النقي عن تساؤلاته، لذا وظف الخال الطبيعة، كمعادل موضوعي وبطريقة جديدة تحمس القارئ وترضي غياهب مشاعره وعواطفه وتساؤلاته.

---

[1]- عبد القادر الغزالي: "الأنساق الدلالية والإيقاعية في ديوان(البئر المهجورة)"، مجلة نزوى، المغرب، العدد 22، ص 2.

[2]- فؤاد محلف: "إليوت عند النقاد العرب"، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد3، 2010م، ص99.

مفهوم المعادل الموضوعي:

إن **(المعادل الموضوعي)** **(Objective Correlative)** مصطلح نقدي **(يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد والمبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة، ويوظفها الشعراء لإبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي)**[1]، حيث يقول **إليوت (إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الإحساس في قالب فني إنما تكمن في إيجاد معادل موضوعي لهذا الإحساس)**[2]، ولأن لكل ناقد وشاعر ترجمته الخاصة به، وبجهازه المصطلحي كما أشار **محمد غنيمي هلال** الذي **(ترجم المعادل الموضوعي إلى العربية بمسميات متعددة مثل: التبادل الموضوعي، المعادل الموضوعي، البديل الموضوعي...)**[3].

استخدم يوسف الخال عناصر الطبيعة الصامتة، في بعض قصائده **معادلاً موضوعيا** لما يثيره في الحياة من ظروف ومتغيرات، ويستوقفه ليفكر به وبما يأثر عليه.

1.2. النهر معادل موضوعي لفارس الأحلام:

يقول يوسف الخال في قصيدته المعنونة بـــ "النهر" والمأخوذة من مجموعته الشعرية "قصائد في الأربعين":

(من ظلمات الجبل الكبير

يخرج نحو حتفه

بالصمت والهدير

في دعائنا الطويل)[4].

---

[1]- أحسن دواس: "المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو – أمريكي الجديد"، مجلة الأثر، الجزائر، العدد 26، سبتمبر 2016 م، ص48.

[2]- المرجع نفسه، ص49.

[3]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، لبنان، (د.ط)، 1973 م، ص303.

[4]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص306.

اتخذ يوسف الخال من النهر **معادلاً موضوعيا** في هذه القصيدة التي حملت اسم الدال نفسه، فأسقط عليه مشاعره وأحاسيسه، وموقفه من الحياة، حيث استخدم الشاعر مظهراً من مظاهر الطبيعة الصامتة، ليكون حاملاً لما يخالج نفسه وتصوراته، فتحدث في القسم الأول من القصيدة؛ عن **فارس الأحلام** الذي يشبه النهر في انطلاقه، فكلاهما يخرج من الظلمات ومن أغوار الجبال الكبيرة، بدون خوف أو رهبة، يتحدى كلاهما مصيره المجهول، الذي يلفّه الغموض، فلقد اختزلها الشاعر في كلمة "حتفه"؛ بالصمت الذي يتسلل به فارس الأحلام والمنقذ إلى الأحلام، يسري النهر من خلال هديره ليشعر الشاعر بالحياة، في انتظار يشبه انتظار الفتاة لفارس أحلامها بعد الدعاء الطويل، حلمان يتقاطعان في اللهفة والأمل، حلم بنهر قد ينظر به الشاعر في صمت إلى الحياة، التي افتقدها وافتقد سريانها ومجراها في عروقه، والنهر هو تمظهر صامت لها، أو هو البديل في أحلام يحملها الفرسان، في ظلمات الليل، أمام أدعية تطول بطول الأماني، إلى أحتاف مجهولة.

2.2. النهر معادل موضوعي للزمن:

يقول **يوسف الخال** في قصيدة "**النهر**":

(تحبه السهول

تحتضنه

يبدأ حيث ينتهي

كالزمن)[1].

يمثل النهر في هذا الجزء من القصيدة **معادلاً موضوعياً** للزمن، أين عبر الشاعر عن حبه لنهر؛ حين قال أن السهول تحبه وهي رمز للحياة مثله، وفي وصفه لمنظره

[1] - المصدر السابق، ص306.

عبرها قال أنها تحضنه، وله – حسب الشاعر– نفس البداية والنهاية، حيث يأتي الإثنان من مكان مجهول، لينتهي بهما المطاف في المجهول عينه، النهر والعمر يحكمه الزمن، يسري كالحياة لكنه يذهب من حيث أتى، فهو يحب الحياة لكن الحياة نهر يسري كالزمن.

3.2. الوردة معادل موضوعي للحبيبة:

يقول الشاعر في قصيدته التي حملت عنوان "**إلى وردة**" والمأخوذة من المجموعة الشعرية "**الحرية**":

(حملت إليك أنداء الصباح
وأشواق الربيع إلى البواح
وملتُ عليك بالإشراق طلقا
وبالدنيا على كفّ السماح
وجدت، فكم سفحت من الأماني
لديك، وكم سقيتك من جراحي
أغار عليك من نفسي وأخشى
على أقداس طهرك من جماحي
فأنت من الورود ولست منها
فلونك عبقري الظل ضاحي
نفحت شذى على الدنيا غريباً
تناقله الرياح إلى الرياحِ)[1].

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص44-45.

يميل يوسف الخال إلى كتم مشاعره، ودفنها بين طيات الطبيعة، حيث تحمي بنقائها وصمتها طهر الحب، وعواطفه الجياشة، ربما غيرة على الحبيبة، أو ربما خوفا عليها، يسمي الشاعر قصيدة حبيبته **"إلى وردة"**، كأن حرف الجر الذي يسبق كلمة وردة، رسول أمن على رسالة خفية ينقلها، إلى من قد تجمع الإسم وصفته، يجعل الخال من الوردة- أرق مكنونات الطبيعة جمالاً- **معادلاً موضوعياً** لحبيبته، ينقل عبر وصفه للوردة، خوفه وحبه وحرصه عليها فيفتتح القصيدة بإخبارها أنه قادم، كالجو الذي يحمل أنداء الصباح، فما يزيد الندى الورد إلا جمالاً وبهاء، فشبه شوقه لها بشوق الربيع، يشتركان في حبهما للورود، فتارة هو الشمس يميل عليها بنوره، وتارة هو لها كالدنيا ترحب بألوان الحياة، يعلق آماله بها وعليها، وإن هو سقاها فهو يسقيها من جراحه، فإن كان الورد يسقى بالماء، فحبيبته تسقى من آلامه وأوجاعه، يَغِيرُ الخال على وردته التي حملت ثوب وملامح حبيبته الخفية، ويسكنه الخوف عليها حتى من نفسه التي قد لا يكبح جماحها، أمام رقة الوردة، وسهولة تلقيها، فهكذا يرى حبيبته، هو يؤمن أنها وردة وتنتمي إلى الورود، لكنه بنفس اليقين يعلم أنها ليست ككل الورود، فلها لون يميزها، ولحبيبته نفس التميز، ينطق الخال صمت الطبيعة بوصفه، فيجعل لون الورق مميزاً ويكسبه ظلاً، ويكتفي بوصفه بالعبقرية، فلون الوردة والحبيبة سيان في نفسه، فإن اشتركت الوردة والحبيبة في اللون الجميل المميز، فقد اشتركتا في الريح والشذى، لكليهما طيب تتناقله الرياح.

4.2. الأرض معادل موضوعي للإنتماء:

يقول يوسف الخال في قصيدته المعنونة بـــ : **(هذه الأرض لي)** والمأخوذة من المجموعة الشعرية **(الحرية)**:

(هذه الأرض لي، درجت عليها

وعليها سيدرج الأبناء

ما أنا، إن هجرتها، غير طيفٍ

أنكرته، في وصفه، الأسماءُ

وسؤال ضاع الجواب عليه،

مثلما ضاع في الدجى إيماءُ

هذه الأرض لي، ومن كان مثلي،

هل له غيرها مني ودعاءُ؟

أنا منها، وطالما هي مني،

فلتكن ما أشاء لا ما يُشاءُ).[1]

يستخدم الشاعر الأرض كمعادل موضوعي ليعبر عن انتمائه الصريح والمعلن، فهو إن كان قد استخدم في بعض قصائده عناصر الطبيعة، ليعبر بها عن مواقفه غيرة أو خوفاً أو تعمداً، فهو يستخدم الأرض بشكل صريح، ولا يعتمد على المعادل الموضوعي ليدرأ الموضوع عينه، بل ليصرح به، وبأن يحمل مدلولات البديل نفسه، حيث وظّف الأرض في قصيدته معلنا امتلاكها، وأنه ولد فيها ومثله أبناؤه، وهو في انتمائه إليها موصول بروحه، التي تصبح طيفاً إن هو هجر هذه الأرض، وهو بلا اسم بين جميع الأسماء، وهو يشبه نفسه بعيداً عنها بالسؤال الذي ضاع جوابه، فهي تحق له ولمن كان مثله في هذا الانتماء، وفي سؤال يحمل جوابه يسائل في علن، عن ودعاء لهذه الأرض غيره، وهذا الانتماء يجعله جزء منها وهي جزء منه، وعليه تكون هويتها ومصيرها من قراره.

5.2. الجذور معادل موضوعي للهوية:

يقول يوسف الخال في قصيدة **(الجذور)** المأخوذة من ديوان **(البئر المهجورة)**:

(في الصيف تسأل الجذور عن مصيرها

---

[1] - المصدر السابق، ص92-93.

والنهر لا يجيب

غصت به العيون في الجبال أم

تلقفته في الهجير تربةٌ؟ فمن

يجيب هذه الجذور عن مصيرها؟

يحضنها في زمن الخريف ؟ يدفع عنها

قسوة الشتاء يا ترى ؟).[1]

يستعين الخال بكلمة "الجذور" كمعادل موضوعي ليصل إلى مبلغ الهوية والأصول، التي تعبر عن المكانة والشخص عينه، فكأنه يريد إثبات وجوده وكينونته، وفي هذا السياق **(تلامس قصيدة (الجذور) المسائل الوجودية الشائكة، مخترقة الطبقات الباطنية، لتبلغ الحقيقة لا باعتبارها يقيناً، ولكن باعتبارها تساؤلاً مستمراً)**[2]. تساؤل عن الهوية وأين منبعها ومكانتها من هذه التساؤلات، يوظف الخال الجذور رمز العراقة والأصول ليربطها بمفهوم الهوية، فتسأل الجذور عن مصيرها من فصل الصيف، فهو يعرف أن الجذور تجف في هذا الفصل الذي لا يرحم الجذور ولا يسأل عن مصيرها، أين الهوية حين تتخبط الجذور وتتشابك ؟ وأين النهر من كل الصيف ومن كل ذلك، فيضع الخال موقف الجذور موازيا لموقف الهوية في العالم العربي، لا وجود للإنسان بدون هوية أو انتماء، أو مكان أو أرض تحويه وتفرض وجوده، ويؤكد هذه الفكرة **عبد القادر الغزالي** في مقاله المنشور في مجلة نزوى حول الأنساق الدلالية والايقاعية في ديوان (البئر المهجورة) حيث قال: **(أن منزلة الإنسان لا يمكن إدراك ماهيتها إلا بوضعها في سياقها القبلي والبعدي)**[3]. هذه الحاجة بالمكان والتمسك القوي بالمنبت والجذور، تعكسها قصيدة الخال، مصورة أهمية هوية الفرد وأصوله، وأنه في أمس الحاجة لتقوية هذه

---

[1]- المصدر السابق، ص 207.

[2]- عبد القادر الغزالي، "الأنساق الدلالية والإيقاعية في ديوان (البئر المهجورة)"، ص 1-2.

[3]- المرجع نفسه، ص 3-4.

الجذور وحماتيها في ظل الصيف الحارق، يختفي الأمل في النهر الذي تخلى عن ارتباطه بهذه الجذور، قد يعني الخال بهذا النهر، الوطن العربي الذي تخلى عن لحمته، فكأن الصيف هو حافة الهاوية لهذه الهوية، وهذه الجذور، جذور فلسطين، وسوريا ولبنان، ولربما كان التخلي والخذلان العربي عن تبني هذه القضايا، جزءا من جملته **(غصّت به العيون في الجبال)**، أو لربما كان جزءاً من تصوره الذي قال فيه **(تلقفته في الهجير تربة)**، أمام غفلة وخداع يشبه خداع العملاء والخونة في هذه البلاد ولهذه الجذور، وأمام تخلي هذا وعمالة ذاك، يتساءل الشاعر مع نفسه عن مصير هذه الجذور، ومن يقف معها في باقي الفصول؟ أين تزيد القسوة فلا حضن لهما –حسبه– في فصل الخريف، ولا دافع لقسوة الشتاء، وهو إنما يقصد بالفصول؛ ما يشكل زعزعة للهوية والجذور ويضرب الأصول ويشتت الذوات والإنتماءات.

6.2. الحديقة كمعادل موضوعي للوطن:

يقول يوسف الخال في قصيدته "الحديقة" والمأخوذة من المجموعة الشعرية اللاحقة من قصائده:

(أحببت هذه الحديقة التي
حين غرست كل نبتة بها
غرست كل أملي
تُرى،
أخشى على الجذور، أم فقدتُ
ثقتي بعودة الرّبيع ؟)[1].

جعل الشاعر من الحديقة بوابة لوطنه الحاضر في قلبه الغائب في قصيدته، فجعل له بديلا موضوعيا يعادله جمالاً ويساويه بهجة وفرحاً، حيث أحب الخال وطنه فشبهه

[1] – يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص207.

بالحديقة التي احتلت قلبه، أين غرس فيها ما يستطيع من آمال متنوعة يريد أن الأمل بوطنه غير منقطع، موصول بحياة هذه النباتات المغروسة، وبجذورها المتفرعة خوفه على ما غرسه من آمال في بقاء هذه الجذور مستقرة وعميقة حية نابضة ينشد بها عودة الربيع، الذي يساوره الشك في عودته من جديد.

7.2. البئر معادل موضوعي للواقع المأساوي:

يقول يوسف الخال في قصيدته "البئر المهجورة":

(لو كان لي أن أنشر الحبيب

في سارية الضباء

لو كان لي البقاءُ

والولدُ العقوقُ، والخروفُ،

والخاطئُ الأصيب بالعمى

ليبصر الطريقا؟).[1]

تدور قصيدة البئر المهجورة حول شخصية الإنسان الذي يصوره الشاعر في باقي القصيدة كالبئر التي يفيض ماؤها، في معادل موضوعي آخر يدل على العطاء والخير؛ ولكنه في هذه الصورة يشهد بئراً عقيماً عاقراً، تجسد الهجران والخذلان رغم خيرها وعطائها أمام بشرٍ لا يعيرونها أي اهتمام.

8.2 الفجر معادل موضوعي للأمل:

يقول يوسف الخال في قصيدته المعنونة بـــ **(الفجر الجديد):**

(أنا يا نجوم اشهدي

ويا ليالي اسمعي

سأخلق فجراً جديداً

---

[1] - المصدر السابق، ص 203.

إذا الفجر لم يطلع

وأبني غداً يدّعيه

الخلود متى يدّعي)[1].

يجعل الخال من الفجر معادلا موضوعيا، لأمل تشبعت به روحه وأفاضت، ويروي قدوم فجر جديد لحياته، فأشعرنا بثقته وهو يشهد النجوم والليالي، على أنّ هذا الفجر سيأتي لا محالة، وإن لم يأتي فهو خالقه، وهنا يرتبط الأمل بصفوة وأسر طلوع الفجر، فكثيرا ما عبّر الفجر عن الأمل والغد المشرق، والأفق الواعد.

9.2. الثمر معادل موضوعي للّذة:

يقول يوسف الخال في قصيدة **(ثمر):**

(ثمـــر، يا طيبة فجّـــر فـــي

أضلعي خمراً، وأحرى كوثرا

طعنه أشهى من الطيب على

مضجع الحب، وأغنى عنبرا

يبدع اللّذة، فالعيـــش سدًى

دونه، والعمر تيه وسُـــرى

ثمر، يا طيبه لو كان لـــي

اطأ النجم واصّل الذرى)[2].

عنون الخال قصيدته بـــ "ثمر" بشكل بسيط ودون تكلف، فربما يدعونا الخال إلى تذوق لذة الشّعر عبر الطبيعة، فكما نعرف أن مصطلح اللّذة يتعلق في غالب الأحيان بما هو مادي ومحسوس لكن قصيدة الخال تحاكي اللذة بمنظور معنوي وترتقي، فخلفية

---

[1]- يوسف الخال: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 15 – 16.

[2]- المصدر نفسه، ص 52.

الخال إن أسقطنا لهفته للثمر على حياته، تروي الشوق للوطن ولثمر الوطن، إن هذا الثمر هو دون غيره تميزا وشهية ولذّة، وهو حلقة الوصل بين ذكرياته المفقودة المؤقتة، ورغباته الدفينة العاجزة.

الخاتمة:

الخاتمة:

شعر الطبيعة هو خلفية راقية لإحساس مستفيض وعواطف وجدانية، فقد وجد الشعر في الطبيعة الملهم لكل إبداع، ينشد الحرية والجمال، وهو ما كان مكنونا في صمت الطبيعة ومظاهرها الجامدة في ظاهرها، الحية في أقلام الشعراء.

وبعد دراسة جزء من هذا الفن الجميل من الطبيعة في الشعر العربي الحديث في ديوان الشاعر **يوسف الخال** كان لا بد من الوقوف على أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث وفي أهمها نذكر:

1- احتلت الطبيعة جانبا كبيرا من الشعر العربي القديم منه والحديث.

2- شهد شعر الطبيعة إهتمام الشعراء في مختلف العصور وهو ما كان سببا في تطوره وإختلاف التعامل معه بين هذه العصور.

3- لطالما كان إهتمام الأدب العربي بالطبيعة موصولا بأزل بعيد، جاء أوله كحاجة يعيشها ويعايشها، ويبتغي منها النفع ويتقي الضرر، فصوّر تعامله معها في ديوان العرب الأول وهو الشعر.

4- تأثر الأدب العربي بشقيه النثري والشعري بالثقافة الغربية، ونقل عنها الكثير، ويعتبر شعر الطبيعة من أهم الفنون المتأثرة بالمذاهب الأدبية الغربية خاصة منها الرومانسية.

5- طرق الشعر العربي أبواب الحداثة في العصر الحديث بكافة ميادينه وشهد مساره "شعر التفعيلة" و"القصيدة النثرية" أين قلبت موازين الشعر، وهو ما لمس كذلك شعر الطبيعة وعرف نقلة أدبية في تاريخه، فكانت التنظيمات الأدبية هي المتبني الأول لهذا التجديد جملة وتفصيلا.

– إهتمت مدرسة الديوان وجماعة أبولو ومدرسة المهجر بشعر الطبيعة، حيث مارس روادها إبداعهم بصوت الطبيعة.

– خاض "رواد الشعر" في الطبيعة الصامتة أين وجدوا صدى يسمع لأصواتهم وذوقاً يترجم أعمالهم.

– جماعة شعر تنظيم جديد في شكل القصيدة المعاصرة ومضامينها.

– احتل تناول الطبيعة هامشا غير قليل من شعر جماعة شعر باعتبارهم مجددين رومانسيين.

– لم يتخلف يوسف الخال عن المسار الذي سطره شعراء شعر، وكان حضور الطبيعة فيه لافتا.

– حمل يوسف الخال أعماله الشعرية دلالات كثيفة ذات معان مختلفة في قوالب الظواهر الطبيعية الصامتة، واستعان بعناصر الطبيعة وتمثلها وعانقها وخدم بها وضعيات راهنة بأساليب جمالية مميزة.

وتبقى أبواب البحث العلمي في هذا الباب مفتوحة، لم تقل فيها البحوث المتقدمة كلمتها الأخيرة، ولن يكون بحثي الأخير، ولكل أمر إذا ما تم نقصان..

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **المعاجم:**

1. حسن عز الدين الجمل: مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 2003 م.
2. عجينة محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفارابي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1994م.

- **الكتب:**

أ. المصادر:

1. إبراهيم المازني: الديوان، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ج2، (د.ط)، 1961 م.
2. ابن خفاجة: الديوان، دار بيروت للطباعة، لبنان، (د.ط)، 1980 م.
3. ابن زيدون: الديوان: دار المعرفة، لبنان، ط 1، 2005 م.
4. أبو الذؤيب: الديوان، تحقيق أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2014 م.
5. أبو نوّاس: الديوان، تحقيق بهجت عبد الغفور، دار الصادر، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
6. أدونيس: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1972.
7. الأخطل: الديوان، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1994 م.
8. الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
9. الطرماح: الديوان،تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، لبنان، ط2، 1994 م.

10. العقاد: الديوان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
11. الفرزدق:الديوان،تحقيق علي فاعوا، دار الكتب العلمية،لبنان، ط1، 1987 م.
12. القروي:الأعمال الكاملة، منشورات جرس، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1916 م.
13. النابغة الجعدي:الديوان،تحقيق واضح الصمد،دار صادر،لبنان،ط1، 1998 م.
14. امرؤ القيس: الديوان، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2002 م.
15. أنسي الحاج: الأعمال الشعرية الكاملة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ط)، (د.ت).
16. أوس بن حجر: الديوان، دار بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د.ت).
17. إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
18. إيليا أبو ماضي: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
19. جبرا إبراهيم جبرا: المجموعات الشعرية الكاملة، رياض الدين للكتب والنشر، ط1، 1990 م.
20. جبران خليل جبران: المجموعة الشعرية الكاملة. تقديم أنطوان القوال. دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د.ط)، 2010 م.
21. خليل حاوي: الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1972.
22. زهير بن أبي سلمى: الديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988 م.
23. طرفة بن العبد: الديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2002 م.
24. عبد الرحمن شكري: الديوان، تحقيق يوسف نقولا، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1988 م.
25. عبد الله بن قيس الرقيات: الديوان، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار القلم، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

26. فوزي معلوف: الديوان، هنداوي، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت).
27. كعب بن زهير: الديوان، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
28. لبيد بن أبي ربيعة: الديوان، دار صادر، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
29. ناجي إبراهيم: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2008 م.
30. يوسف الخال:الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة،بيروت، (د.ط)، 1979 م.

ب. المراجع:

1. إبراهيم الخليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الكتاب، الأردن، ط1، 2003 م.
2. أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1987 م.
3. أحمد فلاق عروات: تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
4. أمال منصور: أدونيس وبنية القصيدة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
5. إيليا حاوي: خليل حاوي في مختارات من شعره ونثره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1984 م.
6. الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
7. العقاد: مطالعات في الكتب والحياة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
8. حسن جاد: الأدب العربي في المهجر، المحمدية دار الطباعة، ط2، 1963 م.

9. حسين مهتدي: الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحي السماوي، (د.ط)، 1436 هـــ.

10. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الادب العربي، مطبعة مصر، (د.ط)، 1954 م.

11. شوقي ضيف: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1387 هـــ.

12. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، مصر، ط 2، (د.ت).

13. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، (د.ت).

14. صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، ط1، 1994 م.

15. صلاح الدين محمد عبد التواب: مدارس الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2005 م.

16. عاطي عبيات، يحيي معروف: استدعاء الرموز ودلالاتها في الشعر الفلسطيني المقاوم، (د.ط)، (د.ت).

17. عبد الرحمن شيبان، المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية، مصلحة الطباعة المعهد التربوي الوطني، ط1، 1974 م.

18. عبد القادر القط: الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

19. عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، دار ضفاء لنشر والتوزيع، عمان، 1998 م.

20. عبد الله راجع: القصيدة المغربية المعاصرة بين الشهادة والإستشهاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987 م.

21. عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967 م.

22. عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977 م.
23. غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1984 م.
24. فايز علي: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، دار الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).
25. كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي وإجراءاته ومنهاجه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000 م.
26. مجيد طراد، ديوان أبو القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، 2004 م.
27. محمد ثابت: أروع ما كتب أدونيس، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2016 م.
28. محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2005 م.
29. محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، لبنان، (د.ط)، 1973 م.
30. محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982 م.
31. محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
32. محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية للكتاب، (د.ط)، 1996 م.
33. ميخائيل نعيمة: زاد المعاد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1970 م.
34. ميخائيل نعيمة: مذكرات الأرقش، مؤسسة نوفل، بيروت، ط5،1971 م.

35. نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية دراسات في شعر المهجر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، 1964 م.
36. نزار بريك هنيدي، جبران خليل جبران المواكب، الدار السورية الجديدة، سورية، ط1، 2002 م.
37. نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، ط1، 2003 م.
38. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، لبنان، ط1، 1970 م.
39. وادي طه:شعر ناجي الموقف والأداة، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1994 م.

- **الرسائل الجامعية:**

1. سارة علي سيد حسين، "الطبيعة في شعر إبراهيم ناجي"، (رسالة ماجستير)، جامعة الفيوم، 2014 م.
2. صالح حوامرية: "صورة المرأة في شعر الطبيعة بين ابن زيدون وابن خفاجة"، (رسالة ماجستير)، جامعة تبسة، 2012 م.
3. عاطف خلف سليمان العيايدة: "الرموز المحورية في شعر محمود درويش"، (أطروحة دكتوراه)، جامعة مؤتة، 2015 م.
4. عبد الرحمن حسن بن يحي المحسني، "أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز"، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، 1999 م.
5. فهيم صخرة: "قصيدة النثر بنيتها وإبدالاتها الفنية أنسي الحاج أنموذجا"، (رسالة ماستر)، جامعة محمد بوضياف، 2017 م.
6. لطيفة العياطي:"وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري شعر ابن خفاجة أنموذجاً"،(رسالة ماستر)،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان،2013م.

7. محمد ظهير الإسلام: "مساهمات شعراء العصبة الأندلسية في الشعر العربي المهجري"، (أطروحة دكتوراه)، جامعة داكا، 2016 م.
8. منى علاّم: "عناصر تحديث النص الشعري في مجلة شعر"،(أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، 2006 م.
9. منير عوض حسين المقيد:" رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر"، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، 2017 م.
10. يوسفي دليلة: "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة"، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجيلاني اليابس، 2018 م.

- **المجلات والدوريات:**

1. **العروبة**، يومية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، حمص، العدد 14839، نيسان، 11، 2017 م.
2. **المقتطف**، رقم 4، 1 أبريل 1932 م.
3. **مجلة الأثر**، الجزائر، العدد 26، سبتمبر،2016 م.
4. **مجلة الجامعة الإسلامية**، مج 17، العدد 2، 2009 م.
5. **مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب**، العدد3، 2010م.
6. **مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب**، العدد3، 2010م.
7. **مجلة رؤى الفكرية**، جامعة سوق أهراس، العدد السادس، أوت 2017 م.
8. **مجلة علامات**، العدد26.
9. **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، العدد 25، تشرين الأول 2017.
10. **مجلة نزوى**، المغرب، العدد 22.

- **المواقع الإلكترونية:**

1. موقع ديوان العرب، www.diwanalarab.com.

الفهرس:

شكر وعرفان .....

الإهداء .....

المقدمة ..... أ-د

المدخل:تطور شعر الطبيعة في تراث الأدب العربي القديم 3-20

1. شعر الطبيعة في العصر الجاهلي.....3-11

2. تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام.....12-16

3. شعر الطبيعة بين العصر الأموي والعباسي.....16-19

4. شعر الطبيعة في الأندلس.....19-20

الفصل الأول: حضور الطبيعة في شعر التنظيمات العربية الرومانسية.....23-61

1. شعر الطبيعة عند مدرسة الديوان. 25-32

2. شعر الطبيعة عند جماعـــــــة أبولـــــو. 33-39

3. شعر الطبيعة عند مدرســـــة المهجـــر. 40-47

1.3. شعر الطبيعة عند أدباء المهجر الشمالي 40-44

2.3 شعر الطبيعة عند أدباء المهجر الجنوبي..... 44-47

4- شعر الطبيعة عند جمـــاعـــة شعر.**.....47-61**

1.4. أدونيس 49-53

2.4. خليل حاوي 53-56

3.4. جبرا إبراهيم جبرا..... 56–58

4.4. أنسي الحاج..... 58–61

الفصل الثاني: توظيف الطبيعة في شعر يوسف الخال 64–107

1. الطبيعة بـــوصفها رمزا..... 64–80

1.1. رمزية النار..... 64–67

2.1. رمزية الريح..... 67–72

3.1. رمزية المطر..... 72–74

4.1. رمزية البحر..... 74–80

5.1. رمزية النور..... 79–80

6.1. رمزية الشتاء 80–81

7.1. رمزية الربيع..... 81–83

8.1. رمزية الخريف..... 83–83

9.1. رمزية الفجر..... 84–84

10.1. رمزية الليل..... 84–85

11.1. رمزية الصباح..... 85–86

12.1. رمزية الماء..... 86–87

13.1. رمزية الظلام..... 87–87

14.1. رمزية الثمر..... 87–88

15.1. رمزية الأرض.....88–89

16.1. رمزية الشمس.....90–90

2. الطبيعة بوصفها معادلا موضوعيا.....91–102

1.2. النهر معادل موضوعي لفارس الأحلام 93–94

2.2. النهر معادل موضوعي للزمن 94–95

3.2. الوردة معادل موضوعي للحبيبة 95–96

4.2. الأرض معادل موضوعي للإنتماء..... 96–97

5.2. الجذور معادل موضوعي للهوية 97–99

6.2. الحديقة معادل موضوعي للوطن 99–100

7.2. البئر معادل موضوعي للواقع المأساوي 100–100

8.2. الفجر معادل موضوعي للأمل.....100–101

9.2. الثمر معادل موضوعي لّلذة.....101–102

الخاتمة 104–105

قائمة المصادر والمراجع.....107–114

الفهرس 116–118

الملخص:

يعد شعر الطبيعة من أهم الميادين الوجدانية التي عبّر من خلالها الشعراء عن ذواتهم وآلامهم، وتشاركوا معها السكون والحركة، من خلال ظواهرها المختلفة، ويعتبر كذلك مجالا خصباً لدراسة الشّعر في ضوء الحرية والنقاء وجمال الطبيعة، من أجل هذا درسنا الطبيعة الصامتة في شعر يوسف الخال للإحاطة بهذا البعد الفني وجماليته في شعر "جماعة الشعر" بشكل عام وشعر الخال بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية:

الطبيعة – يوسف الخال – الصامتة – شعر الطبيعة.

Résumé :

La poésie de la nature est considérée l'un des plus importants domaines émotionnel par lequel poètes se sont exprimés et ont exprimé leur sentiments et partagés sérénité mouvement à travers leurs différents manifestations. Elle est aussi considérée comme un domaine riche pour étudier de la poésie à la lumière de la liberté, de la pureté et de la beauté de la nature. C'est la raison pour laquelle nous avons étudié la nature silencieuse dans le poème de Youssef Al Khal pour exposer cette dimension artistique et son esthétique dans la poésie du "Jamaat chir" en général et dans le poème d'EL- Khal en particulier.

Les mot clés :

La nature - Youssef Al Khal -La Sérénité - Poésie de la nature.

Summary :

The poetry of nature is considered one of the most important emotional fields via which poets expressed themselves and expressed their pain, shared serenity and motion, all this through its different manifestations. It is also viewed a rich field to study poetry on the light of the freedom, purity and beauty of nature. For this reason, we have studied still life in Youssef Al Khal's poem to tackle this artistic dimension and its aesthetics in poetry of "Jamaat chir" in general and in EL-Khal's poem in particular.

Key words:

Nature - Youssef Al Khal – Serenity – poetry of nature.